الجمهورية الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبية

République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التّعليم العاليّ والبحث العلميّ

Ministère de l'enseignement supérieur et de la recherche scientifique

جامعة عبد الرّحمن ميرة، بجاية

كلّية الآداب واللّغات

قسم اللّغة والأدب العربيّ

Université A,MIRA de Béjaia

Faculté des Lettres et des Langue

Département de Langue et

Littérature Arabe

مطبوعة بيداغوجيّة في مادّة:

(قضايا النّصّ الشّعريّ القديم)

دروس مقدّمة إلى طلبة السّنة الثّالثة أدب عربيّ حديث ومعاصر

إعداد الدّكتورة بسوف ججيقة.

الموسم الجامعي: 2022-2023م

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبعد:

من بين المقاييس التي كلفت بتدريسها مقياس (قضايا النص الشعري القديم) الموجهة لطلبة السنة الثالثة (ل. م. د)، تخصص (أدب عربيّ حديث ومعاصر،) بقسم اللغة والأدب العربيّ، كلية الآداب واللغات، جامعة عبد الرحمان ميرة، بجاية، خلال السنة الجامعية:2021 - 2022.

يكتسي هذا المقياس دون غيره من المقاييس التي درستها، أهميت قصوى لغنى مادته، باعتباره يتناول مختلف القضايا الشعرية، بداية من العصر الجاهلي وصولا إلى العصر الذهبي: (العصر العباسي).

وقد أردفت محاضراته بقائمة من الروافد العلمية التي تناولت الأدب القديم عامة، والشعر العربي القديم خاصة، حتى يتمكن الطلبة من الاستفادة منها، حين تناول الأدب القديم شعره ونثره بالدراسة والتحليل.

وأنا، إذ أقدّم لطلبتنا الكرام، هذه المطبوعة البيداغوجيّة، في هذا المقياس، متوافقة مع البرنامج الوزاريّ الرّسميّ، أرجو أن يستفيدوا منها، وتكون لهم خير معين.

أستاذة المادة: بسوف جحيقة.

المادة المقدمة: قضايا النص الشعري القديم.

السنة: الثالثة.

التخصص: أدب.

المدة الزمنية المقررة: ساعة ونصف.

أهداف التعليم:

-التعرف على الظروف التاريخية التي أسهمت في بروز الشعر وقضاياه.

-التعرف على فنون وأغراض الشعر من العصر الجاهلي إلى العصر الأندلسي.

-التعرف على أعلام الشعراء عبر العصور القديمة المختلفة.

-الوقوف على خصائص الشعر العربي القديم.

المعارف المسبقة المطلوبة:

-أن يكون الطالب ملما بمختلف العصور الأدبية: العصر الجاهلي، الإسلامي، الأموي، العباسي، الأندلسي.

-أن يكون الطالب على معرفة مسبقة بأبرز وأشهر أعلام شعراء العرب القدامى: امرئ القيس، عنترة بن شداد، المتنبي، أبي فراس الحمداني...

-أن يكون الطالب على دراية بمختلف الأغراض الشعرية القديمة: الغزل، المدح، الهجاء، الفخر...

المحاضرة الأولى

(النّزعة القبليّة في الشّعر الجاهليّ)

عناصر المحاضرة:

1) تمهيد.
2) في مفهوم العصبية القبلية (العنصرية القبلية أو العشائرية).
3) نشأة النظام القبلي في المجتمع الجاهلي.
4) أسباب ظهور العصبية القبلية.
5) مظاهر العصبية القبلية.
6) قائمة المصادر والمراجع.

تمهيد:

العصبية قديمة قدم الإنسان، منذ خلق سيدنا آدم عليه السلام، وكان العرب في تناحر وصراعات وحروب طاحنة لأتفه الأسباب، خاصة في العصر الجاهلي، فكل قبيلة تعتز وتفتخر بقبيلتها.

1-في مفهوم العصبية القبلية (العنصرية القبلية أو العشائرية):

"إنها شعور قوي بالهوية القبلية، وولاء الفرد لقبيلته والتماسك معهم عند حدوث مشاحنات وصراعات، كما أنها تناصر أفراد قبيلة ما واجتماعهم على باطل غالبا ضد قوم غيرهم"[1]

2-نشأة النظام القبلي في المجتمع الجاهلي:

"الصراع من أجل البقاء كان له أثره الواضح في تشكيل وتنظيم الحياة السياسية والاجتماعية عند العرب في الجاهلية، فالبيئة الصحراوية القليلة المياه والكلأ والتي يسودها في غالب مناطقها الجدب والجفاف، لا تساعد ساكنيها على حياة هادئة مستقرة، مما يضطر سكانها إلى الارتحال والهجرة سعيا وراء الماء (...) فالرغبة في حفظ الحياة كانت تدفع البدوي إلى القيام بالغزو واغتصاب كل ما عند جاره من ظروف هي خير من ظروفه.

وقد ساعدت الطبيعة بحدتها وقسوتها، في خلق رجال أقوياء يجابهون ما يلقون في كل آونة من مخاطر وأهوال في سبيل البقاء (...) ومن ظروف البيئة المحدودة والمعينة، تأصل في نفوس العرب الجاهليين حب الغزو والانتقام والأخذ بالثأر، حتى أصبح الصراع على الماء ومنابت العشب والغنيمة قانون الفطرة وبقاء الأقوى والأصلح (...) ومن هنا نشأ النظام القبلي الذي كانت العصبية القبلية من أهم دعائمه، والتآزر والنجدة من أبرز مقوماته.

ولذلك نرى كيف عاش البدو جماعات متعاونين يدا واحدة على قهر احتياجاتهم الحياتية وتجاوز ظروفهم الصعبة، فكل خيمة تمثل أسرة، وكل عدة خيام تكون ما يسمى

1- بن مسفر، عبد الله عقاب، العصبية القبلية في ميزان الإسلام، رسالة ماجستير في الثقافة الإسلامية، أم القرى، السعودية، 2014م، ص22.

حيا، وأهل الحي الواحد يكونون معا ما يسمى بالقوم، ومجموعة الأقوام القريبة من بعضها عرقا ونسبا يكونون القبيلة (...) من هنا كان الحرص الشديد على توثيق هذه الصلة وتمتين الوحدة القبلية التي كانت أمرا مقدسا ومثلا أعلى عندهم (...) ولما كانت هيبة القبيلة بشدة بأس أفرادها ومتعتها من متعتهم وبسالتهم،تعلقت هي الأخرى بهم، وأصبح الفرد والقبيلة صنوان لا يفترقان ولا غنى لطرف عن آخر (...) ولشدة اهتمامهم بالصلة العصبية،ولحمة النسب والقرابة اهتموا اهتماما بالغا بالأنساب، فألفوا فيها الكتب، وأخذ كل واحد منهم يصرف نسبه ونسب قبيلته مما دعاهم إلى وضع شجرة القبيلة بفروعها..."[1]

"وقد تأثر الشعراء بهذا النوع من الحياة القبلية، وما فيها من صراع عنيف، فرضته عليهم ظروف بيئتهم فذابوا فيها، وكانوا لسانها الناطق، تفانوا في خدمتها، وساروا في ركابها ودافعوا عنها بكل فخر واعتزاز (...) فكانت حتمية الصراع من أجل الحياة، مفروضة على كل بدوي وعلى كل من تشابهه ظروف حياته، لأن الإنسان ابن بيئته، يعيش من وحيها، ويتلون إنتاجه الفكري والأدبي بألوانها، وقد يخل ويذوب فيها كما كانت حال الشعراء الجاهليين في بيئاتهم" "[2]

وفي هذا الصدد تقول الشاعرة (الخرنق بنت بدر):

لا يبعدن قومي الذين هم ** سم العداة وآفة الجزر

النازلون بكل معترك ** والطيبون معاقد الأزر

الضاربون بخومة نزلت ** والطاعنون بأذرع شعر[3]

"فالشاعر كالساحر في نظر الجاهليين الأولين، وكانوا يرمون بالسحر كل من يأتي بشيء يثير دهشتهم وتنقاد إليه نفوسهم بالتعجب والاستحسان والإصغاء، ثم أصبح الشاعر

1-حسين الحاج حسن، أدب العرب في عصر الجاهلية، ط3، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع بيروت، لبنان،1997،ص232-234.

2- المرجع السابق، ص235-236.

3-بنت بدر، ديوان الخرنق بنت بدر (أخت طرفة بن العبد)،تح، واضح الصمد، دار صادر، بيروت، لبنان،(د.ت)،ص39.

نور وحي وهداية وأصبح الشعر في الذروة العليا من القيمة والخطر لأنه ديوان الأمجاد، وسجل المفاخر والمآثر، وكان الشاعر لسان القوم في الغارات والغزوات، يهيب بهم إلى الأخذ بالثأر وإلى حماية الجار، ودفع كل عار، وكان في السلم ساحر الجماهير تنقاد له صاغرة، وكان على كل حال، حكيم القوم ومرشدهم وخطيبهم، ونائبهم المتكلم باسمهم ومؤرخهم وعالمهم وكان يعرف أنساب القبيلة وأخبارها القديمة ويقف على مآثر عظمائها (...) وإلى ذلك كان الأسياد والأشراف يعنون بالشاعر أشد العناية رغبة في مدحه ودفعا لشره، أو توصلا إلى مد سلطان وتكوينا لرأي عام، وكانوا يبذلون كل ما في وسعهم للإتيان بالشعراء إلى بلاطاتهم، ويتنافسون في ذلك أشد المنافسة، ويجزلون لهم العطاء،حتى يذيعوا اسمهم في العرب، من قدرهم فيما بينهم ويخلدوا ذكرهم على مر السنين..."[1]

"النظام القبلي كان نظاما ملائما لطبيعة بلاد العرب، التي يغلب عليها الجفاف، وتنشر فيها الصحاري والبوادي، وقد احتفظ العرب طويلا بهذا النظام، وحتى بعد أن وحد الإسلام قبائل العرب، وضم شتاتهم في دولة عربية واحدة، ظل العرب محتفظين بكثير من خصائص النظام القبلي"[2]

وعلى رئيس القبيلة وسيدها أن يتحلى بالصفات التي تؤهله لقيادة القبيلة كالشجاعة والقدرة الحربية، ويحسن قيادة القبيلة وحل المشاكل المختلفة التي تصادفهم في خصبها وجذبها بالإضافة لاتسامه بالخلق الحسن والكرم وأن يكون واسع الصدر مسنا (...).

وقد عزا (إحسان النص) اشتداد العصبية القبلية في العصر الأموي إلى:" دواع اجتماعية، ودواع سياسية وأخرى اقتصادية، فأما الناحية الاجتماعية، فمردها إلى انتقال جمهور القبائل العربية من الطور البدوي إلى الطور الحضري، ولا شك أن هذا التطور خطوة أولية في سبيل القضاء على الروح القبلي"[3]

1- حسين الحاج حسن، أدب العرب في عصر الجاهلية، ص108-109.

2-احسان النص، ا لعصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي، دار صادر، بيروت،لبنان،1963 م،ص53.

3- احسان النص، ا لعصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي، ص257.

إلا أن هذه النزعة"سادت طوال العهد الأموي، واستمرت في العهد العباسي، رغم انتقال مركز الخلافة إلى دمشق في العهد الأموي، ورغم تغير بعض مظاهر الحكم الإسلامي بحكم الاتصال بالحضارات المجاورة، إلا أن الأمويين قد ارتدوا في نظرتهم إلى الموالي إلى العصبية الجاهلية، واعتبروا أنفسهم طبقة سامية مسيطرة، تدين لها الشعوب المغلوبة على أمرها"[1]

3-أسباب ظهور العصبية القبلية:

يمكن إرجاع أسباب العصبية القبلية إلى عدة أسباب نذكر منها:

-البيئة الاجتماعية التي ترعرع في وسطها الفرد.

-أنانية الفرد وحبه لنفسه، من أجل إشباع رغباته الذاتية.

-انتشار الجهل والأمية بين الأفراد.

-الشعور بعقدة النقص.

-زرع الآباء لأبنائهم روح التعصب بالأقوال والأفعال.

-التمييز العنصري.

-سيادة سياسة القوة واضطهاد الضعيف.

-غياب العدل والمساواة.

4-مظاهر العصبية القبلية:

للعصبية القبلية والنعرة الجاهلية، مظاهر كثيرة من ضمنها:

-الافتخار بالانتماء إلى الأرض والعرق.

- تغيير الآخرين في خَلْقهم وأشكالهم.

-الدفاع عن أفراد القبيلة، ظالمين أو مظلومين.

خاتمة:

العصبية القبلية لا تقتصر فقط على العصر الجاهلي، أو العصور التي تلته،إنما وصلت سمومها لتشمل وتتوغل في عصرنا المعاصر، لذا على كل فرد من أفراد المجتمع أن يسعى

1-مصطفى هدارة، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني، دار المعارف،مصر،القاهرة،1970 م،ص30.

للقضاء على هذا الفيروس الذي يحوم حولنا،وعليه يجب تضافر الجهود من أجل نبذ العنف، والقضاء على التمييز العنصري، وتقبل النقد والاعتراف بالخطأ والحفاظ على المصلحة العامة على حساب الأطماع الذاتية، والدعوة للوحدة،وزرع قيم العدل والمساواة بين أفراد الأسرة أولا وكذا نشر هذا المبدأ بين مؤسسات المجتمع، لسد الثغرات والنوافذ للقضاء نهائيا على روح التعصب.

قائمة المصادر والمراجع:

1- إحسان النص، العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي، دار صادر، بيروت، لبنان، 1963م.

2-بنت بدر، ديوان الخرنق بنت بدر (أخت طرفة بن العبد)، تح: واضح الصمد، دار صادر، بيروت، لبنان، (د.ت).

3- بن مسفر عبد الله عقاب، العصبية القبلية في ميزان الإسلام، رسالة ماجستير في الثقافة الإسلامية أم القرى، السعودية، 2014م.

4-حسين الحاج حسن، أدب العرب في عصر الجاهلية، ط 3،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، 1997م.

5-مصطفى هدارة، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني، دار المعارف، مصر، القاهرة، 1970م.

المحاضرة الثّانية

(نزعة التّمرّد في شعر الصّعاليك)

عناصر المحاضرة:

1) في مفهوم الصعلكة.
2) ظهور الصعلكة.
3) أنواع الصعاليك.
4) نزعة التمرد عند الصعاليك (الأسباب والدوافع).
5) موضوعات الشعراء الصعاليك.
6) خصائص شعر الصعلكة.
7) صفات الصعاليك.
8) شعر الصعاليك وأغراضه.
9) نماذج شعرية لبعض الشعراء الصعاليك.
10) خاتمة.
11) قائمة المصادر والمراجع.

1-في مفهوم الصعلكة:

جاء في لسان العرب: "تصعلكت الإبل أي خرجت أوبارها وتجردت وطرحتها قال: شمر: تصعلكت الإبل إذا دقت قوائمها من السمن وصعلكها البقل، وصعلك الثريدة جعل لها رأسا"[1].

ويذهب (أحمد محمد الحوفي) إلى أن: "الصعاليك ليسوا فقراء فحسب، فهم يدركون ما بينهم وبين الأغنياء من فوارق في النعم والبؤس، فيمضهم خلاء أيديهم ومعجزتهم وسوء حظهم، ثم هم تواقون إلى أم يحيون حياة أرقى مما يحبون"[2].

2-ظهور الصعلكة:

بنية المجتمع أعانت على استشراء هذه الظاهرة، وقدمت للصعلكة المنبوذ والموتور، والخليع والطريد، لأن من تلفظه العصبية القبلية لا يجد أمامه غير طريقين الاحتماء بالولاء، أو اللجوء إلى الصحراء، وفي الولاء ما فيه من إذلال، لهذا كان الأعربي الأبي يؤثر الصعلكة على تقيء ظلال الأثرياء الأقوياء، وربما لحق العبد المتمرد على العبودية بالحر الطريد، فكانت الصعلكة جامعا يجمعهما على كره السادة.

"وانقسام المجتمع إلى أثرياء وفقراء حرص المحرومين على التمرد وأغراهم في أموال الأغنياء، ولو استطاع المجتمع القبلي أن يزيل ما بين هاتين الطبقتين من تناقض لضعفت الصعلكة لكن تفاقم التضاد واتساع الشقة بين الضدين دفعا طائفة الصعاليك المحرومة إلى الاغتصاب وجعلها تؤمن بأن هذا الاغتصاب حق لا تبغي من ورائه سوى أن تعيش.

وكان الصعاليك يتخيرون البقاع التي ينجعها الناس، والطرق التي تسلكها قوافل التجار، فينقضون انقضاض الصواعق، ثم يرتدون بما غنموا إلى الشعاب المخوفة، والقمم المنيعة"[3].

3-أنواع الصعاليك:

1-ابن منظور، لسان العرب، ط1، دار إحياء التراث العربي،بيروت،لبنان،ج،7،1988 م،ص250.

2-أحمد محمد الحوفي، الحياة العربية في الشعر الجاهلي، مكتبة النهضة، مصر، القاهرة، 1952 م، ص231.

3-غازي طليمات، عرفان الأشقر، الأدب الجاهلي قضاياه -أغراضه-أعلامه-فنونه، ط1، دار الفكر،دمشق،2002م، ص278-297.

"صعاليك الجاهلية على ضربين: خامل وعامل. الخامل الفقير الحقير الذي ارتضى لنفسه التسول والتطفل والهوان على الناس. وهم الصعلوك من هذا النمط أن يطوف في الليل على المجازر ليلتقط العظم الهش قانعا بأكله، وهو لسقوط همته يرضى من الزاد بفتات الموائد، ومن العمل بخدمة نساء الحي اللواتي يسخرنه طوال النهار في الكنس والحلب فإذا أمسى ألقى بنفسه على الأرض كالبعير الذي أنهكه قطع القفار في الأسفار(...)ويمكن تقسيم الصعاليك إلى ثلاث فئات أيضا: النوع الأول يضم الخلعاء والشذاذ الذين نبذتهم قبائلهم لما اقترفوا من جرائر (...) والثاني يندرج تحته من ولدتهم أمهات سود، فرفض آباؤهم إلحاقهم بأنسابهم (...) والنوع الثالث، أتخذ الصعلكة حرفة وصناعة"[1].

4-نزعة التمرد عند الصعاليك (الأسباب والدوافع):

أ-دافع الفقر:

عانى شعراء الصعاليك من الفقر المدقع، وهذا ما نجده بشكل واضح في شعرهم الملون بألوان البؤس والشقاء والشكوى، ووصف صور الجوع والألم، وهذا ما دفعهم إلى الإغارة واستعمال القوة وحمل السلاح لإعادة التوازن وضمان بقائهم على قيد الحياة.

ب-الخلع:

الخلعاء هم مجموعة من الأفراد المتمردين أي الخارجين عن قوانين القبيلة وهذا ما يدفع القبيلة لطردهم ونبذهم لكثرة جناياتهم لأنهم يشكلون خطرا عليهم وهم ينتمون إلى طبقة العبيد الذين يعانون من اضطهاد واحتقار الأغنياء، ويضطرون لمغادرة قبيلتهم للبحث عن استقلاليتهم، واتخذوا من مبدأ الإغارة على قبيلتهم والقبائل المجاورة فتحولوا إلى وحوش كاسرة متمردة على الأعراف، والصورة على المجتمع بعد إحساسهم بظلم القبيلة والأهل.

5-مواضيع الشعر عند الشعراء الصعاليك:

*شعرهم يصور حياتهم الجديدة.

*التحرر من سلطة القبيلة وقيودها.

1- غازي طليمات، عرفان الأشقر، الأدب الجاهلي قضاياه -أغراضه-أعلامه-فنونه،ص277-278.

*إطلاق العنان في خيالهم للوصف.
*التطرق إلى الأسباب التي دفعتهم يسلكون مسلكهم في الغزو و النهب.
*التخلص من المقدمة الطللية.
*الدخول مباشرة في صلب الموضوع.
*الوحدة الموضوعية والذاتية.
*الاعتماد على نظام المقطوعات.
*تمجيد بطولاتهم.
*وصف السلاح ومغامراتهم.

6-خصائص شعر الصعلكة:

*المكان في قصيدة الصعلوك يعبر عن المجهول والغامض
*الشاعر الصعلوك يعيش لحظته الآنية.
*الحديث عن المألوف والمحدد إلى الغامض والغريب.
*قصر الأنفاس.
*ضعف الرابطة القبلية.
*الارتجال.
*روح المغامرة.

7-صفات الصعاليك:

-الحقد.
-الثورة على الغنى.
-الإمساك والبخل.
-شدة البأس.
-سريع الوثب والتقلب.
-الذكاء واليقظة والجرأة.
-الاعتماد على النفس.

- كريم النفس.

-يؤثر غيره على نفسه.

-لا يرحم الضعيف.

8-شعر الصعاليك وأغراضه:

"أهم أغراضه تصوير الصعلكة، بما فيها من تمرد وترصد وتوعد، وحياة مشردة قوامها الاشتراك في اقتناص الأسلاب واقتسامها، والهزء بالصلات القبلية والدعوة إلى تضامن الصعاليك على ما بينهم من اختلاف في الأنساب.

أ-المغامرة:

المغامرة روح الصعلكة، والسلك الذي ينتظم سلك الصعاليك من أولها إلى آخرها، فمن أخطارها صنعوا أعرافهم، ومن خروجها على المألوف سنوا لأنفسهم سننا يتبعونها، ولو نظر القارئ في مغامرة واحدة من مغامراتهم لوجد أن نظام حياتهم مخالفة النظم وأن أبغض ما يبغضه الناس من الخوف والبطش والفتك يأتيهم بأحب الأشياء إلى نفوسهم، فهم أبناء الرهبة والرعب، حلفاء الفوضى أعداء الأمن والطمأنينة والاستقرار (...) وربما اكتفى الصعلوك من الإغارة بالتهديد، فتوعد خصمه وأنذره فإذا كان خصم الصعلوك – والسيفان لا يجتمعان في غمد-صعلوكا آخر مضى يحذره بطشه ليتفرد بالفريسة.

ب-الفرار:

لقد تغنى شعراء الصعلكة بالفرار ولم يجدوا في ذلك غضاضة، لأن أهم قيمة يحاربون في سبيلها الحفاظ على الحياة، والبقاء في مجتمع أنكر عليهم حق الحياة والبقاء، ومن هذا المنطلق(...) والمهرب من المجتمع بأشكال مختلفة: الهرب منه بمعارضة الأنظمة القبلية، والهرب منه بمفارقة مضارب القوم والعيش في قمم الجبال وكهوفها، والهرب من حربه المعروفة بالطعان والمصاولة، والهرب من قيمه التي تواضع الناس على احترامها"[1].

ج-الخيل والسلاح والمراقب:

[1]- غازي طليمات،عرفان الأشقر،الأدب الجاهلي قضاياه –أغراضه-أعلامه-فنونه،ص281-284.

"في شعر الصعاليك-وإن كان أكثرهم عدائين-لوصف الخيل والسلاح موضع، لأنهم لم يكونوا جميعا يركبون سيوفهم وأقدامهم، فقد ظهر بينهم فرسان مدججون بالسلاح، إذا لقيتهم حسبتهم من عليه القوم (...) وربما سوى الصعاليك غيرهم من شعراء العصر الجاهلي، في وصف الأسلحة لأن ما يحملون شبيه بما يحمله غيرهم من مقاتلة العرب، غير أن الشيء الذي تميز به شعرهم هو وصف المراقب المطلة من شغاف الجبال على شعاب الأودية ومراقبهم هذه منيعة موهوبة يربضون فيها ويترصدون ليل نهار، حتى إذا سنح الصيد انقضوا انقضاض الصواعق على الطرائد.

ج-أواصر ومآثر:

إذا كان الصعاليك قد قطعوا أواصر القربى التي تشدهم إلى قبائلهم، فقد نسجت لهم الصعلكة أواصر جديدة، خيوطها اشتراكهم في التشرد وانتماؤهم إلى الجبال، واجتماعهم على مخالفة الأغنياء الجبناء أصحاب الأنساب والأحساب، وبلغ إحساس بعضهم النسب الجديد غاية القوة والعمق، ودفعه إلى مصافاة من يعايش والوفاء لمن يألف من رفقته (...) ومن المآثر التي يتباهى بها الصعاليك اختراق الفلوات، ومعايشة الوحش في القفار"[1].

9-نماذج شعرية لبعض الشعراء الصعاليك:

أولا: تأبط شرا (ثابت بن جابر الفهمي):

"المعروف عنه أنه عداء وأنه لص من أدهى اللصوص وأشدهم فتكا، ومما يروى عنه أنه تأبط سكينا ذات يوم وخرج، فسئلت عنه أمه، فقالت: لا أدري، إنه شرا نخرج، فذهب كلامها لقبا له"[2].

1-ميزة أدبه:

1- غازي طليمات،عرفان الأشقر،الأدب الجاهلي قضاياه -أغراضه-أعلامه-فنونه ،ص285-288.

2-حنا الفاخوري، الموجز في الأدب العربي وتاريخه، الأدب العربي القديم، ط3،دار الجيل، بيروت،لبنان،مج1، 2003م،ص114.

"خشونة المعاني والمباني، وتصوير حسي صادق، ونفس مكسورة بألفاظ تتراءى فيها العادات والنفسيات، وسذاجة فطرية حلوة، وجو صحراوي يضطرب فيه حيوان الصحراء ونباتها، وغيثها وبرقها، وتصطحب فيه الشراسة والرقة، وتدفق طبيعي على غير نظام اللهم إلا نظام الطبيعة الفطرية، وأوزان مستقيمة وقواف شديدة تتصاعد من خلالها موسيقى الصحراء، ذلك هو أدب تأبط شرا، وهو يروق من حيث ينفر، ويخاطب النفس من حيث يلتصق بالمادة، هو أدب اعترافي قصصي ملحمي، هو أدب النفس والقلب وإن تسربل الأشواك والتحف بالرمال والنبال"[1].

هذا الرجل الشديد المراس لا يخلو من قلب رقيق وعاطفة صادقة، فلئن كان "شريا" للعدو، فهو "أري" للصديق، والحرية الجاهلية من أقدس الأمور لدى الشاعر، فهو يؤثر الموت على ذل الأسر والقيد، إلا أن الموت لا يناله بل يبقى "خزيان ينظر "فيتغلب على الموت بالحزم ويفلت من القيد بالحيلة، فهو أبدا يقظان يحسب لكل شيء حسابا، وهو أبدا رجل الشخصية القوية والثقة بالنفس، وهو على فقره وتشرده كريم جواد يقري الضيف صيف شتاء ويؤثر أضيافه على نفسه، كما يأبى إلا أن يكون عزيز الجانب قرير العين، والثأر في نظره واجب وهو حكم الحقيقة ولسان الحق (...) فالحياة عنده هزو بالحياة وتعلق بها، هي كرامة تحفظ، ومال يبذل، وحرية تقدس، ويد تمتد وانطلاق من غير انكفاء في جو من الاطمئنان والحذر واللاوعي الجازم"[2].

3-نماذج من شعره:

أ-غرض المدح:

ألا عجب الفتيان من أم مالك تقول أراك اليوم أشعث أغبرا

**

نبوعا لآثار السرية بعدما رأيتك براق المفارق أيسرا

**

فقلت لها: يومان، يوم إقامة لأهز به غصنا من البان أخضرا

**

ويوم أهز السيف في جيد أعيد له نشوة لم تلق مثلي أنكرا

---

[1]- حنا الفاخوري، الموجز في الأدب العربي وتاريخه، الأدب العربي القديم ، ص120.

2- المرجع السابق ،ص121.

يخفن عليه وهو ينزع نفسه ** لقد كنت أباء الظلامة قشورا[1]

ب-غرض الرثاء:

لما قتل (الشنفرى) الصديق الحميم (لتأبط شرا)، رثاه ذاكرا شجاعته وبطولته:

على الشنفرى ساري الغمام فرائح ** غزير الكلى أو ثيب الماء باكر

عليك جداء مثل يومك بالحيا ** وقد رغفت مني السيوف البواتر

ألا عجب الفتيان من أم مالك ** ويومك يوم العيكتين وعطفة

ج-غرض الهجاء:

وقالوا لها لا تنكحيه فإنه ** لأول نصل أن يلاقي مجمعا

فلم تر من رأي فتيلا وحاذرت ** تأيمها من لابس الليل أروعا

قليل غرار النوم أكبر همه ** دم الثأر أو يلقى كميا مسفعا

يماصعه كل يشجع قومه ** وما صربه هام العدا ليشجعا [2]

د-غرض الغزل:

بحليلة البجلي بت من ليلها ** بين الإزار و كشحها ثم ألصق

بأنيسة طويت على مطويها ** طي الحمالة أو كطي المنطق

فإذا تقوم فصعدة في رملة ** لبدت بريق ديمة لم تغدق[3]

هـ-غرض الوصف:

لها الويل ما وجدت ثابتا ** ألف اليدين ولا رملا

ولا رعش الساق عند الجراء ** إذا بادر الحملة الهيضلا

1-ديوان تأبط شرا، إعداد وتقديم، طلال حرب،ط1،دار صادر،بيروت،لبنان،1996 م،ص26-27.

2- المصدر السابق، ص38-39.

3-المصدر السابق، ص45.

يفوت الجياد بتقريبه ويكسو هواديها القشطلا[1]

**

ثانيا: الشنفرى (ثابت بن أوس الأزدي):

"عاش صعلوكا ولصا مرهوب الجانب، لا معتصم له سوى الجبال، يغير ثم يأوي إليها، يروى في ما يروى عنه أنه حلف ليقتلن مئة رجل من بني سلامان، فقتل تسعة وتسعين، ثم احتالوا عليه فأمسكه رجل منه عداء هو أسيد بن حابر ثم قتله، فمر به رجل منهم،فرفس جمجمته فدخلت شظية منها برجله فمات فتمت القتلى مئة.

لا يختلف أدب الشنفرى عن أدب تأبط شرا مادة ونفسا ولونا محليا،وخشونة ألفاظ في رقة عاطفة، كما لا يختلف عنه تدفقا فطريا والتصاقا بالمادة، وإنه من الغريب أن نرى في مثل هذا الصعلوك، ذلك الانطلاق النفساني وتلك الحكمة الطبيعية، وذلك الترف في الاعتزاز والشرف والكرم وعلو النفس، ولكنها النفس العربية، ولكنها الطينة العربية في تعبيرها الشديد الوطأة، وفي نبضاتها واختلاجاتها الكريمة الأخاذة على ما هنالك من قسوة وخشونة".[2]

وقد ساهمت عدة عوامل في تطور شعر (شنفرا) كاتصاله بمشاهير شعراء الصعاليك إذ اتصل اتصالا وثيقا بالشاعر الصعلوك(تأبط شرا)،وهذا ما أثر في تكوينه وسلوكه وفكره، خاصة بعدما فقد عائلته، إذ وجد في شخصية (تأبط شرا) خير جليس و ونيس، وبفضله انفجرت في نفسته معالم الفتوة والقوة والشجاعة والفروسية، كما عرف بنفسيته الهائجة الثائرة على النظام القبلي، كما ساعدن الطبيعة القاسية والفقر المدقع،في إقبال (شنفرا) على إغارة القوافل التجارية، التي كانت مرتكزة على قبيلة (بني سلامان) خاصة التي قتلت أباه، فقد كان شديد البأس كما تعددت أغراضه الشعرية، كالغزو والفتك، لأنه نشأ في بيئة معروفة بالقتل والغزو، والافتخار بشجاعته وجرأته المتجلية في حروبه وغزواته، وحين ينظم شعر الغزل، لا يخصص للمرأة موضوعا، وإنما يتحدث عنها بعيدا عن الجانب الإباحي في خلقها وأدبها وعفتها، بالإضافة لذلك فقد كان عفيفا رغم ميوله إلى الفتك والقتل،

---

[1]- ديوان تأبط شرا، إعداد وتقديم، طلال حرب، ص59.

[2]- حنا الفاخوري، الموجز في الأدب العربي، الأدب العربي القديم، ص125.

ويترفع عن الدنيا وملذاتها، ويفضل الموت على العيش في الذل والفقر، وتميز شعره بحكمته المعبرة عن نفسيته المغامرة، بسبب البيئة الجغرافية الصحراوية، يترصد القوافل.

وقد تخلص من المقدمة الغزلية والبكاء على الأطلال، بسبب عدم استقراره واشتغاله بالإغارة على القوافل، إلا أنه يعتز بقبيلته ويدافع عنها، حين تتعرض القبيلة للخطر، ويمتاز شعره بألفاظ البديع، والأسلوب الرائع المعبر عما يختلج في نفسه، وهي مشاعر صادقة غير مزيفة لأنها تعالج معاناته، كما تميز شعره، بالمغامرة والتعبير عن إغارته والانسجام المنطقي للأحداث، ولم ينس وصف السلاح، وتصوير إحساسه بالمرارة والأسى على مقتل أبيه.

2-نماذج من شعره:

هم الأهل لا مستودع السر ذائع لديهم، ولا الجاني بما جر يخذل

**

وكل أبي باسل، غير أنني إذا عرضت أولى الطرائد أبسل

**

وإن مدت الأيدي إلى الزاد لم أكن بأعجلهم، إذا أجشع القوم أعجل

**

وما ذاك إلا بسطة عن تفضل عليهم وكان الأفضل المتفضل[1]

**

وللشنفرى قصيدة في الغزل اخترنا منها:

أميمة لا يخزي نثاها حليلها إذا ذكر النسوان عفت وجلت

**

إذا هو أمسى، آب قرة عينه مآب السعيد، لم يسل أين ظلت

**

فدقت وجلت واسبكرت وأكملت فلو جن إنسان من الحسن جنت

**

فبتنا كأن البيت حجر فوقنا بريحانة ريحت عشاء وطلت[2]

**

ثالثا/عروة بن الورد:

1- حنا الفاخوري، الموجز في الأدب العربي،الأدب العربي القديم،ص122-123.

2- حسين الحاج حسن، أدب العرب في عصر الجاهلية،ط3،المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع بيروت،لبنان،1997م،ص94.

"يعد من الصعاليك المقدمين الأجواد، وكان يلقب عروة الصعاليك لجمعه إياهم وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم".[1]

1-شخصية عروة بن الورد من خلال شعره:

"هذا الصعلوك من أشرف الصعاليك، يعيش لغيره أكثر مما يعيش لنفسه، ويبذل كل شيء في سبيل الغير، أما صعلكته فعن حاجة وفقر، وعن رغبة في إغاثة ذوي الحاجة، وهو يعمل ما يستطيع العمل، ويسعى بنشاط في سبيل أهدافه(...) وهولا يرهب الموت في سعيه، بل يراه أجمل من أن يعجز عن دفع النوازل وإبعادها عن الناس".

2-ميزة أدبه:

«هو أدب إنساني في عاطفته وغايته(...)وهو يروقنا بعاطفته ولا سيما بنزعته الاشتراكية الساذجة المرتكزة على محبة الغير والجود على ذوي البؤس أما لغته فأقل خشونة لما في عاطفته من نعومة، وأما حكمته فطبيعية مستحبة،وإن لم تخل من شراسة في ما تدعو إليه من أساليب التحصيل"[2]

3-نماذج من شعره:

أ-غرض العتاب: قال معاتبا زوجته:

أقلى على اللوم يا ابنة منذر ** ونامي فإن لم تشتهي النوم فاسهري

ذريني ونفسي أم حسان إنني ** بها قبل ألا أملك البيع مشتر

أحاديث تبقى والفتى خالد ** إذا هو أمسى هامة فوق صير

ب-غرض المدح:

لحا الله صعلوكا إذا جن ليله ** مصافي المشاش ألفا كل مجزر

يعد الغنى من نفسه كل ليلة ** أصاب قراها من صديق ميسر

---

[1]- حسين الحاج حسن، أدب العرب في عصر الجاهلية ، ص126.

[2]- حنا الفاخوري، الموجز في الأدب العربي،الأدب العربي القديم،ص129.

ينام عشاء ثم يصبح ناعسا ** ينحت الحصا على جنبه المتعفر[1]

ويضيف قائلا:

جزى الله خيرا كلما ذكر اسمه ** أبا مالك، إن ذلك الحي أصعدوا

وزود خيرا مالكا، إن مالكا ** له ردة فينا، إذا القوم زهد [2]

ج-غرض الفخر:

أيا راكبا إما عرضت، فبلغن ** بني ناشب عني، ومن يتنشب

أكلكم مختار دار يحلها، ** وتارك هدم ليس عنها مذنب

وأبلغ بني عوذ بن زيد رسالة، ** بآية ما إن يقصبوني يكذبوا[3]

د-غرض الرثاء:

إذا المرء لم يبعث سواما ولم يرح ** عليه، ولم تعطف عليه أقاربه

فللموت خير للفتى من حياته ** فقيرا، ومن مولى تدب عقاربه

وسائله: أين الرحيل؟ وسائل، ** ومن يسأل الصعلوك أين مذاهبه؟[4]

هـ-غرض الغزل:

أرقت وصحبتي، بمضيق عمق ** لبرق، في تهامة، مستطير

إذا قلت استهل على قديد ** يحور ربابه حور الكسير

تكشف عائذ بلقاء، تنقى ** ذكور الخيل عن ولد، شفور [5]

1- ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، شرح وتحقيق، أسماء أبو بكر محمد،ط2،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2009م، ص35-37.

2- المصدر السابق، ص60.

3- المصدر السابق،ص45.

4- المصدر السابق،ص48.

5- المصدر السابق، ص62-63.

ويضيف قائلا:

أرى أم حسان، الغداة، تلومني، ** تخوفني الأعداء، والنفس أخوف

تقول سلمى: لو أقمت لسرنا ** ولم تدر أني للمقام أطوف

لعلى الذي خوفتنا من أمامنا ** يصادفه، في أهله، المتخلف[1]

خاتمة:

شعر الصعاليك وليد التوتر الحاد نتيجة الأوضاع الاجتماعية التي يعيشها الفرد في المجتمع الجاهلي، في ظل سلطة القهر والتسلط في النظام القبلي، هذا ما خلق روح التمرد والخروج من هذه القيود في أحضان الطبيعة، متخذين من مهنة السطو وسيلة من الوسائل لضمان البقاء، إلا أنهم يتصفون بالعفة والإيثار المتجذرة في أعماق المجتمع الجاهلي.

[1]- ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، شرح وتحقيق، أسماء أبو بكر محمد ، ص67.

قائمة المصادر والمراجع:

1- ابن منظور، لسان العرب، ط 1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج 7، 1988م.

2-أحمد محمد الحوفي، الحياة العربية في الشعر الجاهلي، مكتبة النهضة، مصر، القاهرة، 1952م.

3- حسين الحاج حسن، أدب العرب في عصر الجاهلية، ط 3،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1997م.

4- حنا الفاخوري، الموجز في الأدب العربي وتاريخه، الأدب العربي القديم، ط 3، دار الجيل، بيروت، لبنان، مج 1، 2003م.

5- ديوان تأبط شرا، إعداد وتقديم، طلال حرب،ط1،دار صادر، بيروت، لبنان، 1996م.

6- ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، شرح وتحقيق، أسماء أبو بكر محمد، ط 2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2009م.

7- غازي طليمات، عرفان الأشقر، الأدب الجاهلي قضاياه -أغراضه -أعلامه - فنونه، ط 1، دار الفكر، دمشق، 2002م.

المحاضرة الثّالثة

(أثر الإسلام في الشّعر العربيّ القديم)

عناصر المحاضرة:

1) مقدمة.
2) ظهور الإسلام عند العرب
3) موقف الرسول" صلى الله عليه وسلم" من الشعر.
4) خاتمة.
5) قائمة المصادر والمراجع.

"رغم نجاح الإسلام في نقل العرب من مناخ جاهلي إلى مناخ إسلامي، فإن ذلك لا يعني بتاتا أنهم قد تخلوا دفعة واحدة عن نزعاتهم الجاهلية بمجرد دخولهم في الإسلام، ومما لاشك فيه أن الشعر خفت موازينه، وبهت بريقه، لعوامل منها البلاغية ومنها الدينية، فقد كان القرآن من العوامل التي صرفت كثيرا من الشعراء عن الشعر، بأسلوبه الرائع وبلاغته المعجزة، ففضلوه على الشعر، وعدلوا إلى الخطابة يستنهضون بها همم المسلمين، و يحثونهم على الجهاد لنصرة الإسلام، والذود عنه، كما افترت بواعث الشعر لدى من اعتنق الإسلام، وبخاصة لدى الذين اشتركوا منهم في الجهاد، فقد صبغهم الدين الجديد صبغة جديدة، قطعت كل صلة بينهم وبين الجاهلية، وغدا حماسهم للهجاء والغزل والفخر وإذكاء العصبية...حماسا لنشر الدين الحنيف وتثبيت دعائمه، والجدير بالذكر أن الحياة الأدبية في هذا العصر، تأثرت إلى حد بعيد بالإسلام، وبمعجزته القرآن الكريم"[1].

وقد كان شعراء "قريش" يهجون الرسول (ص) و أصحابه،و كان شعراء الأنصار يناقضون هذا الهجاء،و هذه المناقضات تدعو إلى الحكم و الإقرار.

أما "قريش" فقد كانت تجزع من هجاء "حسان"،و لا تبالي بشعر "ابن رواحة" لأن "حسان "كان يطعن في أحسابهم و يرميهم بالإهانات التي تنال من العزة الجاهلية.

ومن جهة أخرى كان المهاجرون و الأنصار يعدون "حسان" الشاعر الذي يحمي أعراض المسلمين يبعثون إليه حين تفد الوفود، و يفزعون إليه، فيبلغ من حاجتهم ما لا يستطيع أحد أن يبلغه. لأنهم يرون "حسان" يمتلك الملكة الشعرية أنضج منها في سواه، و يرون معانيه من الأسلحة الماضية التي تجزع منها "قريش"[2].

"لهذا كان هجاء حسان شديد الوقع على قلوب المشركين، مؤلما لنفوسهم ناقضا لحجهم مبطلا لدعواهم، كما رفع من معنويات الشاعر عندما علم أنه ليس وحده في المعركة ضد المشركين، فهذا جبريل عليه السلام معه يؤيده، ويلهمه، وذاك أبو بكر يأخذ عنه الشاعر ما

1- خالد يوسف، في النقد الأدبي وتاريخه عند العرب،ط1،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت،لبنان،1987م،ص52.

2- المرجع السابق،ص32.

يحتاج من مصادره الصحيحة في معرفة مثالب القوم، وعيوبهم ومساوئ أنسابهم، وهي مادة الشعر ووقود المعركة".

"أما كعب بن مالك، فقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم امتدحه بقوله: "ما نسي ربك وما كان نسيا شعرا قلته"، قال: "وما هو يا رسول الله قال: أنشده يا أبا بكر فأنشده أبو بكر:

زعمت سخينة أن ستغلب ربها ** وليغلبن مغالب الغلاب[1]

و"كان عبد الله بن رواحة يعير قريشا بالكفر وعبادة ما لا يسمع ولا يضر ولا ينفع، وكان حسان وكعب يعارضانهم بمثل قولهم في الوقائع والأيام والمآثر، ويذكران مثالبهم، ويكشفان أسرارهم فكان قول ابن رواحة يومئذ أهون القول عليهم، وكان حسان وكعب أشد القول عليهم، فلما أسلموا أدراها النبي وتنبأ بها، ثم كشف عنها في أشعار هؤلاء عند قوم تلك الأشعار مبنيا قوة تأثيرها على نفوس المشركين، ومعنوياتهم، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم :"هؤلاء النفر أشد على قريش من نضح النبل"[2].

بعد مجيء الإسلام تغيرت المفاهيم والموازين، وكل ما كان متعارفا عليه من عادات وتقاليد جاهلية، كما غير هذا الدين الجديد عقليات العرب للحياة،لكن لم يكن دفعة واحدة، بل جاء رويدا.

2-موقف الرسول" صلى الله عليه وسلم" من الشعر:

بعد احتدام الصراع بين الرسول صلى الله عليه وسلم والمشركين، تطاولت ألسنة الأعداء على نبي الله كلامه أشبه بكلام الشعراء، وأنه لا يعدو أن يكون أضغاث أحلام، كالتي تراود الشاعر، وأنه بمثابة الشاعر المقترن بالمجنون، كما نعتوه بالساحر وغيرها من الصفات.

---

[1]-حسين الحاج حسن، النقد الأدبي في آثار أعلامه، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنقد والتوزيع، بيروت، لبنان، 1996، ص117.

2- أبي علي الحسين بن رشيق القيرواني الأزدي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، حققه وفصاه وعلق حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد، ط 5، دار الجيل، بيروت، لبنان، ج 1، 1981م، ص11.

وكان "الصراع على أشده بين الإيمان والكفر والذي استتبعه انقسام العرب إلى فيلقين: فيلق نعم بالنور والهدى الإسلامي فاستنارت أفئدتهم بتعاليمه وآخر صدوا عن السبيل وأصروا على الكفر، ويشارك الشعر في الصراع ويواكب السعير المحتدم فتتكاثف فيالق من الشعراء إلى جوار النبي صلى الله عليه وسلم تدافع عنه وعن دينه ودعوته وتنال من المعاندين الجاحدين، وتنضم شرذمة من الشعراء باسم العصبية إلى قريش،وقد خافوا وخافت مما بات يهدد سلطانها، ويظهر في معسكر المشركين شعراء لم تعرف لهم شاعرية قبل الإسلام يحرض المشركين على النيل من الإسلام كأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم يحرض المشركين على النيل من الإسلام والمسلمين"[1].

وقد بين الله سبحانه وتعالى في الكثير من الآيات القرآنية أوصاف المشركين للرسول صلى الله عليه وسلم مصداقا لقوله تعالى: أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر"[2].

وقوله أيضا: "إنه لقول رسول كريم (1) وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون(2) ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون (3)تنزيل من رب العالمين(4)"[3].

كما جاء أيضا في قوله سبحانه وتعالى:

"إنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون"[4].

ونتيجة لهذه القرائن التي اقترنت بها صورة الشاعر في ذهن الرسول صلى الله عليه وسلم ولد في نفسيته كره الشعراء، حتى نزلت سورة "الشعراء".

والمطلع على أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم يجد أنه وقف من الشعر موقفين:

أ-الموقف الأول: ينهى عن الشعر و يذمه:

1- مصطفى السيوفي، تاريخ الأدب في صدر الإسلام،ط1،الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، مصر، القاهرة، 2008م، ص85

2- سورة الأنبياء، الآية:5

3- سورة الحاقة،الآية:4

4- سورة الصافات، الآية:36.

جاء الإسلام لتوحيد العرب، ولمّ شمل القبائل المتناحرة، وسل الضغائن من قلوبهم، ولما كان الشعر وخاصة الهجائي فيروسا يفتك بين العرب، ويزرع في نفسهم الضغينة والحقد، وداعية فرقة، دعا الرسول صلى الله عليه وسلم إلى القضاء عليه.

ومن أقواله الدالة على ذلك: "لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا حتى يريه خير له من أن يمتلئ شعرا"، وقوله:" لما نشأت بغضت إلي الأوثان و بغض إلي الشعر"[1].

ثم يأتي القرآن الكريم مؤيدا هذا الموقف مصداقا لقوله تعالى: "والشعراء يتبعهم الغاوون (224) ألم تر أنهم في كل واد يهيمون(225) وأنهم يقولون ما لا يفعلون(226) إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون(227)"[2].

ب-الموقف الثاني:

الرسول (ص) يحب الشعر ويستنشده ويعرف قيمته وتأثيره ويثيب عليه ويمدحه:

بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة، لم تسكت قريش عن أذية الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، لذا اضطر الرسول صلى الله عليه وسلم للدفاع عن نفسه وعن كرامة الدين الإسلامي الحنيف بلسانه، بعد الانتصارات العديدة التي خاضها في ساحة الوغى، لذا قرر اتخاذ الشعر كأداة من أدوات المعركة.

ومن كلماته الدالة على إعجابه بالشعر وعرفان قيمته قوله: "إن من الشعر لحكمة".

و قوله: "أصدق كلمة قالها لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل".

فالرسول (ص) يذم الشعر مرة و يستهجنه مرة أخرى، فالرسول (ص)، إذ يذم الشعر لا يذمه على إطلاقه ، وإنما يذم نوعا خاصا منه، هو ذلك الشعر الذي يجافي روح الإسلام وتعاليمه، ويباعد بين العرب ويفرق كلمتهم، ويذكي فيهم روح العصبية بكل أنواعها وآثامها. [3].

---

[1]- عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ط4، دار النهضة العربية،بيروت،لبنان،1994م،ص42

[2]- سورة الشعراء، الآيات:224-227

3-عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص43.

وقوله أيضا: "لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين"[1].

فعندما اشتدت الخصومة بين قريش والرسول (ص)،راح شعراء قريش بإيعاز من زعمائها يهجون الرسول (ص) ويحاربونه باللسان كما تحاربه "قريش"،وكان أشد شعراء قريش حملة على الرسول (ص) وهجاء له "عبد الله بن الزبعري"،و"عمرو بن العاص"، و"أبو سفيان بن الحارث"،ولما أسرف هؤلاء الشعراء وأمثالهم في هجاء الرسول (ص) قال للأنصار: "ما يمنع الذين ناصروا الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم".

وكأن هذه الكلمة كانت دعوة من الرسول (ص) لشعراء المدينة بالرد على خصومه، فانطلقوا يدافعون عنه بألسنتهم وينصرونه بشعرهم،وكان من أشد شعراء المدينة إيلاما لقريش "حسان" وكعب بن مالك و"عبد الله بن رواحة".

قال الرسول (ص) لحسان :"اهجهم – يعني قريش - فوالله لَهجاؤك عليهم أشد وقعا من السهام في غلس الظلام، اهجهم ومعك جبريل وروح القدس". إن الشعر في عهد الرسول (ص) قل كما وكيفا وموضوعا، وأنه ظل جاهليا في صورته ومضمونه وروحه، وأنه لم يتطور عن نهجه القديم إلا قليلا، وإذا كان قد تأثر بالإسلام فهو تأثر عرضي في مجال ضيق من حيث التطرق إلى بعض المعاني الدينية[2].

"فشعراء المدينة، كحسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة ممن قاموا يناضلون بألسنتهم فإن هجاءهم لقريش وشعرائها من أعداء الإسلام كان كذلك هجاء جاهليا في صورته ومحتواه من حيث إنهم يجردونهم من المكارم ويفخرون عليهم بالأنساب، ويستطيلون عليهم بالوقائع والأيام والمآثر، ويسلبونهم خير ما يعتز به العربي من صفات، ويعيرونهم بالمثالب والهنات (...)،فالقرآن في هجائه لا يمس الأغراض ولا يعتمد الجرح والسباب ولا يهدد بالإغارة والقتل وسفك الدماء ولا يعير بالأنساب والهزائم، إنما يسلك مع

1-أبي علي الحسين بن رشيق القيرواني الأزدي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، حققه وفصاه وعلق حواشيه، محمد محي الدين عبد الحميد، ص30.

2-عبد العزيز عتيق، النقد الأدبي عند العرب، ص45-47.

الكفار والمنافقين أسلوب الوعيد وأسلوب المجابهة والمكاشفة بما هم عليهم من صفات لا تليق بالإنسان"[1].

فالرسول (ص) هو أفصح العرب، كان يتذوق الكلام الجيد، ويخوض في حديث الشعر مع الوافدين عليه ممن أسلموا، كما كان يؤثر منه ما يلاءم دعوته وأرضى مكارم الأخلاق، ومن ثم فلا عجب أن يتحدث الناس في الشعر بمجلسه وأن يكثر اجتماع الشعراء به،وأن يعجب بالشعر إعجاب أصحاب الذوق السليم.

أنشده "كعب بن زهير" قصيدته "بانت سعاد" فأعجب بها الرسول (ص) وبلغ من إعجابه بها أن صفح عن "كعب" وخلع عليه بردته، وتهلل وجهه، من قوله:

إن الرسول لسيف يستضاء به ** مهند من سيوف الله مسلول

في فتية من قريش قال قائلها ** ببطن مكة لما أسلموا زولوا

وقد أثر عن الرسول (ص) بعض كلمات تعبر عن مفهومه للشعر وعن الميزان الذي يرتضيه لتقديره والتمييز بين ما يستحسنه وما لا يستحسنه منه.

من هذه الكلمات قوله: "إنما الشعر كلام مؤلف فما وافق الحق منه فهو حسن، وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه"[2].

فالرسول صلى الله عليه وسلم لما سمع أبيات "كعب بن زهير"، أعجب به وعفا عن القرار الذي أصدره في حقه بعد أن أهدر دمه، واتخذه بعد ذلك صاحبا مدافعا عن شعراء الدعوة الإسلامية، وهذا يدل على قلب نبينا الطاهر الصافي من الحقد والشرور.

كما" أنشد النبي (ص) قول طرفة بن العبد:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ** ويأتيك بالأخبار من لم تزود

فقال: "هذا من كلام النبوة"[3]

1- عبد العزيز عتيق، في الأدب الإسلامي والأموي ،ص55-56.

2-المرجع السابق ، ص54-55.

3-ابن قتيبة، الشعر والشعراء، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ج 1، 1964م،ص248.

"فالرسول وهو أفصح العرب كان يتذوق الكلام الجيد، ويخوض في حديث الشعر مع الوافدين عليه ممن أسلموا، كما كان يؤثر منه ما لاءم دعوته، وأرضى مكارم الأخلاق.

ومن ثم لم يكن عجبا أن يتحدث الناس في الشعر بمجلسه، وأن يكثر اجتماع الشعراء به، وأن يعجب بالشعر إعجاب أصحاب الذوق السليم.

أنشده النابغة الجعدي:

ولا خير في حلم إذا لم يكن له بوادر تحمي صفوه أن يكدرا

**

ولا خير في جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

**

فأعجب الرسول صلى الله عليه وسلم بجودة شعره وقال له: "أجدت لا يفضض الله فاك"[1].

"فالرسول (ص) يذم الشعر مرة ويمدحه مرة أخرى، فالرسول (ص) إذ يذم الشعر لا يذمه على إطلاقه، وإنما يذم نوعا خاصا منه، هو ذلك الشعر الذي يجافي روح الإسلام وتعاليمه، ويباعد بين العرب ويفرق كلمتهم، ويذكي فيهم روح العصبية بكل أنواعها وآثامها. والرسول(ص) إذ يمدح الشعر، نما يمدح ما يغلب عليه روح التدين، وما ينبري للدفاع عن الإسلام والانتصار للحق، وما يدعو للفضائل ومكارم الأخلاق[2].

ومن موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من شعراء العصر الجاهلي،أنه لما ذكر أمامه الشاعر "امرؤ القيس"، قال: "ذاك رجل مذكور في الدنيا شريف فيها، منسي في الآخرة خامل فيها، يجيء يوم القيامة معه لواء الشعراء إلى النار"[3].

1-أبي الفرج الأصفهاني، الأغاني،شرحه وكتب هوامشه، سمير جابر،،ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1992 م،ص،271.

2- عبد العزيز عتيق، النقد الأدبي عند العرب،ص43.

3- محمود الربداوي، دراسات في النقد العربي القديم، تاريخه وقضاياه ومصطلحه وقراءات تطبيقية،ص54-55.

فالرسول صلى الله عليه وسلم نجده ساخطا غاضبا من "امرئ القيس"، نظرا لسيرته الفاجرة، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو إلى مكارم الأخلاق.

خاتمة:

بمجيء القرآن الكريم تغيرت القيم والمفاهيم في حياة العرب، ورسم لهم المثل العليا ونبذ الرذائل، لذا كانت المقاييس النقدية في هذه المرحلة ضيق النطاق والأفق، يتمثل في شعر الهجاء والمفاخرات، غير مبني على أسس علمية، لهذا لم نعثر على حركة نقدية نشيطة في هذا العصر، ربما يرجع ذلك إلى انشغال الشعراء بالفتوحات الإسلامية، كما اتخذوا من بلاغة القرآن الكريم وسحر بيانه أساسا لنظمهم ودعامة لبيانهم، ونلاحظ أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يحكم على الشعر ونقده على أساس المقياس الديني والبياني.

ولم يحدث أي تطور من الناحية الشعرية في العصر الإسلامي، نتيجة انشغال المسلمين بالجهاد والفتح والعبادة، هذا ما دفعهم إلى الانصراف عن الساحة الأدبية والنقدية، وكانت آرائهم قد طبعت بطابع ديني المبنية على معايير الأخلاق الإسلامية.

قائمة المصادر والمراجع:

أ-المصادر:

1-سورة الأنبياء، الآية:5.

2-سورة الحاقة،الآية:4.

3-سورة الصافات،الآية:36.

4-سورة الشعراء،الآيات:224-227.

ب-المراجع:

1- أبي علي الحسين بن رشيق القيرواني الأزدي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، حققه وعلق على حواشيه، محمد محي الدين عبد الحميد، ط5، دار الجيل، بيروت لبنان، ج 1، 1981م.

2- ابن قتيبة، الشعر والشعراء،دار الثقافة، بيروت، لبنان، ج 1، 1964م.

3- أبي الفرج الأصفهاني، الأغاني،شرحه وكتب هوامشه، سمير جابر،ط2،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،1992م.

4- حسين الحاج حسن، النقد الأدبي في آثار أعلامه،ط1،المؤسسة الجامعية للدراسات والنقد والتوزيع،بيروت،لبنان،1996م.

5-خالد يوسف، في النقد الأدبي وتاريخه عند العرب،ط1،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،بيروت،لبنان،1987م.

6- طه أحمد إبراهيم،تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،(د.ت).

7- عبد العزيز عتيق، في الأدب الإسلامي والأموي، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2001م.

8- محمود الربداوي، دراسات في النقد العربي القديم، تاريخه وقضاياه ومصطلحه وقراءات تطبيقية.

9- مصطفى السيوفي، تاريخ الأدب في صدر الإسلام،ط1،الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، مصر، القاهرة، 2008م.

المحاضرة الرّابعة

(الشّعر السّياسيّ في العصر الأمويّ)

عناصر المحاضرة:

1) تمهيد.
2) نشأة الدولة الأموية.
3) نهضة الشعر الأموي.
4) شعراء الأحزاب السياسية في العصر الأموي:
   أ-شعراء حزب الزبيريين.
   ب-شعراء حزب الخوارج (المتمردين).
   ج-شعراء حزب الشيعة.
5) شعراء حزب بني أمية.

تمهيد:

استطاع الرسول (ص) القضاء على العصبية القبلية السائدة في العصر الجاهلي، إذ ألف بين قلوب المسلمين قصد حماة الدين الإسلامي الحنيف ونشر تعاليمه.

وقد بايع الرسول صلى الله عليه وسلم الخلافة لـ(أبو بكر الصديق) في سقيفة (بني ساعدة) هذا ما أثار حفيظة الأنصار وأجج قرائح شعرائهم.

وقبل وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، جعل الخلافة شورى بين ستة من المسلمين (لعمر بن الخطاب) رضي الله عنه الأمر الذي عده (معاوية بن أبي سفيان)من الدوافع الأولى التي شتت أواصر المسلمين، باعتبارهم طائفة من المهاجرين أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم.

وبعد وفاة الرسول (ص) عادت روح العصبية القبلية من جديد،بين المهاجرين والأنصار، إلا أن (عمر بن الخطاب) رضي الله عنه تمكن من إخماد لهيبها،بعد أن بايع (أبا بكر الصديق) بالخلافة،وهذا الأخير استطاع بحكمته القضاء على العصبية القبلية وإشغال المسلمين بالفتوحات الإسلامية وبالجهاد.

كما أدت مبايعة (علي بن أبي طالب) إلى انقسام المسلمين،بين مؤيد لخلافته،ومناصرة (معاوية بن أبي سفيان)،وهذا ما تسبب في اتساع الهوة وكثرت الأحزاب السياسية خاصة بعد تقلد (معاوية بن أبي سفيان) الخلافة، وهو بدوره سلمها لابنه (يزيد بن معاوية)،وكان لا يجيد الخلافة،وقد حدثت في عصره مأساة (كربلاء) التي تسببت في مقتل الحسين بن علي – رضي الله عنه - ومأساة معركة (الحرة) التي استباح فيها جيش يزيد حرمة المدينة المنورة بقيادة (الوليد بن عقبة).

1-نشأة الدولة الأموية:

كانت الجزيرة العربية وأحوال العرب قبل الخلافة الإسلامية على درجة من التفكك الاجتماعي والسياسي، ولكن مع بزوغ فجر الإسلام جرى التحول الشامل في الفكر العربي فكان الأمر كذلك أن توحدت القبائل تحت راية الإسلام، وتراجعت العصبية القبلية، ولما

التحق الرّسول عليه السلام بالرفيق الأعلى واصل الخلفاء الراشدون مسيرته في بث قيم الإسلام وتعاليمه، وتوسيع رقعة الدولة الإسلامية.

وبالرغم من هذا الجانب الإيجابي إلا أن وفاته عليه السلام قد أعقبتها أزمة سياسية حادة هي مسألة الخلافة ومن أحق بها من المسلمين، فقد احتدم النزاع بين طائفتين من المسلمين هما المهاجرين والأنصار، إذ أراد الأنصار أن يستأثروا بها، بحجة أنهم آووا لقرشيون لأنهم قومن الرسول عليه الصلاة والسلام وآله الأدنون"[1].

وعليه فالمقصود بالعصر الأموي هو" العصر الذي جرى فيه تحول الخلافة إلى بني أمية حيث استولى معاوية على مقاليد الخلافة عام 41هـ وجعلها وراثية في البيت الأموي إلى أن انتقلت إلى بني العباس عام 132 فهي خلافة عمرت ما يقارب القرن في المشرق وما يفوقه في المغرب (الأندلس)"[2].

2-نهضة الشعر الأموي:

شهدت الحياة تغيرات عديدة في مختلف المجالات (السياسية، الدينية، الفكرية، الاجتماعية...). ولكن "ظل الشعر طيلة العصر محافظا على تلك المزية التي وسم بها من أنه ديوان العرب، إذ رافق نشأة الدولة حتى سقوطها فكان المعين على إقرار ذاك النظام الوراثي الذي قام عليه صرح الخلافة الأموية، وخير مثال نضربه على ذلك هو استعانة معاوية بمسكين الدرامي لمبايعة ابنه يزيد، ضف إلى ذلك أن الشعر اتخذ وسيلة لدعم الموقف السياسي والترويج للأحزاب، وهو دور شبيه بدور الصحف والمجلات في عصرنا الحالي، ولنا أن نستدل على ذلك بما تفرد به كل حزب من الأحزاب المتصارعة آنذاك من شعراء كانوا يدعون لها ويدافعون عنها ويشهرون بها على غرار ما رأيناه في تناولنا للأحزاب"[3].

1- أحمد الشايب، تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني، دار القلم، بيروت، لبنان،(د.ت)، ص130.

2- أحمد بن محمد بن عبد رب،تح، عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1997م،ص270.

3-أبي الفرج الأصفهاني، الأغاني، شرحه وكتب هوامشه، سمير جابر،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مج 20، 1992م، ص126-127

كما ساهم الشعر في تأجيج الفتن، وإثارة الحمية القبلية من جديد، وفي زرع العصبيات المتضاربة وتغذيتها، كثرت الأحزاب السياسية واختلاف غايتها.

3-شعراء الأحزاب السياسية في العصر الأموي:

ظلت خصائص الشعر السياسي الجاهلي على حالها في العصر الأموي، مع تغيير طفيف نتيجة تتابع الخلفاء على الحكم وهذا ما أدى إلى نشوء خلافات بين الناس، تسببت في كثرت الفتن والحروب وبروز تيارات سياسية وأحزاب وخلافات مذهبية وفكرية،ولكل حزب شعراؤه ومؤيديه مثل (الشيعة، الخوارج الأمويين، الزبيريين...)، مما تسبب في وهن الدولة الأموية. وهذا ما أدى إلى بروز بعض الشعراء الذين ربطوا الشعر برؤية الأحزاب السياسية المتصارعة على الخلافة.

أ-شعراء حزب الزبيريين:

هذا الحزب ينسب إلى (عبد الله بن الزبير بن العوام) الذي كان من مناصري الرسول (ص) ومع خلافة (معاوية بن أبي سفيان)،ولما عقد (معاوية) مبايعة ابنه (يزيد)،عارض (ابن الزبير) ذلك، لأن الخلافة ليست وراثية،بل الأمر يترك للمسلمين، أو أن يسلم الأمر أحد رجال قريش، أو يكون الأمر شورى.

إذ بعد مقتل (الحسين بن علي بن أبي طالب) "خلا الجو لابن الزبير الذي عاد بمكة،وقد اتخذ من قتل الحسين أداة للتشنيع على يزيد وعماله، وثارت المدينة، وأوقع بها يزيد وقعة الحرة المشهورة، فاتسع الجرح في الحجاز،وبدا للعيان أن الأمويين وإن كانوا قرشيين يحكمون بسيوف كلب وغيرها من قبائل الشام اليمنية وكأنه لم يعد لقريش ولا للحجاز عامة شيء في الحكم (...) وقد مضوا يلون الخلافة كما وليها يزيد، لا بسلطان شرعي، وإنما بسلطان السيف والقوة،إذ أن يزيد لا يأتي أولا بين أبناء كبار الصحابة فبينهم من يفضلونه بسباقة آبائهم في الإسلام وبسيرتهم الفاضلة، واتجه الجيش الذي نكب المدينة في وقعة الحرة إلى مكة حيث يعوذ ابن الزبير، وهب كثير من العرب حتى من الخوارج للذود عن البلد الحرام، وضرب من حوله حصارا، غير أن الأنباء جاءت بموت يزيد، فرفع الحصار وعاد الجيش أدراجه.

وبدا حينئذ كأن ابن الزبير هو القرشي الوحيد الذي اختير للجماعة، فأبوه من كبار الصحابة المقدمين وكان قوي الشخصية تقيا وشارك في فتوح إفريقية، وسرعان ما انضمت تحت لوائه قيس في الشام والجزيرة وتبعته العراق ومصر، وكذلك تبعته خراسان بقيادة عبد الله بن خازم السلمى القيسي، وولى بعد يزيد ابنه معاوية بعهد منه، ولكنه توفي سريعا، وبدا وكأن حكم بني أمية قد انتهى، حيث يقول ابن عرادة بخراسان:

أبني أمية إن آخر ملككم ** جسد بحوارين ثم مقيم

طرقت منيته وعند وساده ** كوب وزق راعف مرثوم

ومرنة تبكي على نشوانه ** بالصنج نقعد تارة وتقوم

وظل (ابن الزبير) يقود الولايات التي تبعته من مكة، ولم يلبث (مروان بن الحكم)أن ـ ظهر بالشام تسنده كلب والقبائل اليمنية، وأوقع بقيس الشام وقعة مرج راهط المشهورة، فخلصت له الشام، ولم تلبث مضر أن استجابت له، وولى عليها ابنه عبد العزيز، وبذلك تحولت الخلافة من بيت السفيانيين إلى بيت المروانيين، فإن مروان لم يلبث أن توفى وخلفه ابنه عبد الملك، وكان سياسيا أريبا، يعرف كيف يستخدم المال في جميع الناس من حوله، وكان ابن الزبير بخل وحرص شديد جعل كثيرا من العرب ينصرفون عنه(....) إن العصبيات والوقائع الحربية اشتعلت بين القبائل القيسية من جهة والقبائل اليمنية وتغلب من جهة ثانية، وأن الشعراء في الطرفين جميعا سلوا ألسنتهم مدافعين عن قبائلهم ومهاجمين(...)ولم يكن الطرفان يتناقضان في العصبية القبلية فحسب، بل كانا أيضا يتناقضان في السياسة، إذ كان هوى قيس مع ابن الزبير وهوى القبائل اليمنية مع بني أمية، ومن ثم اختلطت في أشعارهم العصبية بالسياسة..."[1]

وعلى رغم قلة الشعر السياسي الزبيري، إلا أن (عبد الله بن قيس الرقيات) اختص واعتنى بهذا الحزب، مصورا انتصاراته وهزائمه.

1-شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي،ط13،دار المعارف،القاهرة،1992م،ص290-292.

يقول (ابن قيس الرقيات): وهو يرثي أهله ويبكي بكاء حارا يقطر بالثورة على يزيد وبني أمية، بعد مقتلهم في موقعة الحرة:

إن الحوادث بالمدينة قد أوجعتني وقر عن مروتيه

**

ينعى بنو عبد وإخوتهم حل الهلاك على أقاربه

**

ونعى أسامة لي وإخوته فظللت مستكا مسامعيه

**

ومن ثم كان اعتناقه للعقيدة الزبيرية اعتناقا مخلصا، وهو اعتناق يشوبه الحقد على بني أمية والرغبة الشديدة في أن ينقض حكمهم في الشام انتقاضا، ولعل خير ما يصور ذلك قصيدته الهمزية التي يفتتحها بقوله:

أقفرت بعد عبد شمس كداء فكدى فالركن فالبطحاء.[1]

**

ب-شعراء حزب الخوارج (المتمردين):

ظهر هذا الحزب بعد التحكيم في خلافة (علي بن أبي طالب) لكن الناس ثاروا عليه فقتلوه، وكانوا يرفعون سيوفهم في وجه من لا يواليهم، وفي نظرهم الخلافة لا تقتصر في بيت أو قبيلة (قريش) بل يجب أن يقلدها رجل من عامة الناس،وأدى ذلك إلى انقسامها إلى فرق: الإباضية نسبة ل(عبد الله بن إباض)، الأزارقة نسبة (لنافع بن الأزرق)،فرقة (الصفرية) نسبة (لزياد بن الأصفر)،فرقة (النجدات) نسبة (لنجدة بن عامر).

"الخوارج بفرقهم المختلفة من أزارقة وصفرية ونجدات وإباضية،ظلوا يحاربون الجيوش الأموية طوال العصر، وكلما قضوا على جماعة منهم هبت جماعة أخرى تطلب الاستشهاد في سبيل عقيدتها في ولاية الأمة وأنه ينبغي أن لا تكون قاصرة على قريش، بل يتولاها خير المسلمين ورعا وتقوى، ولو كان عبدا حبشيا قد أخذوا يتصورون الجماعة الإسلامية ضالة عن الطريق الديني الصحيح، ومضوا يرون جهادها فريضة دينية.[2]

وفي هذا الصدد يقول الشاعر:

1- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي ،ص294-295.

2- المرجع السابق،ص302.

ما رغبة النفس في الحياة وإن ** عاشت قليلا فالموت لاحقها

وأيقنت أنها تعود كما ** كان يراها بالأمس خالقها

يوشك من فر من منيته ** في بعض غراته يوافقها

من لم يمت عبطة يمت هرما ** والموت كأس والمرء ذائقها[1]

يقول (الطرماح بن حكيم):

فيا رب إن حانت وفاتي فلا تكن ** على شرجع يعلى بخضر المطارف

ولكن أحن يومي سعيدا بعصبة ** يصابون في فج من الأرض خائف

فوارس من سيبان ألف بينهم ** تقى الله تزالون عند التزاحف[2]

4-مميزات شعر الخوارج: وقد تميز شعر الخوارج بما يلي:

-عاش الخوارج في ظل الحروب المتواصلة.

-مص دماء إخوانهم المسلمين.

-تمجيد القتلى.

- صدق العاطفة

- شعر ثوار ترافقهم السيوف.

- استعذبوا الموت واستصغروا الحياة ابتغاء ثواب الله والفوز برضوانه وجناته.

- شعرهم حماسيا لعقيدتهم السياسية.

- الإخلاص للدين طالبين الشهادة في سبيل الجهاد.

ج- شعراء حزب الشيعة:

هو حزب معارض للدولة الأموية، لأن في نظرهم الأمويون اغتصبوا الخلافة التي يجب أن ترد إلى آل البيت النبوي، وقد انحاز عدد هائل من الفرس والموالي إليهم، واعتنقوا عقيدتهم.

1- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي ، ص303.

2- المرجع السابق ،ص313.

ويمتاز هذا الحزب بكثرة شعراءه نظرا لاختلاف آراءهم ومعتقداتهم، وأشهر فرقهم اثنتان هما:(الإمامية والزيدية)، تنسب الأولى إلى الإمام (علي بن أبي طالب) والثانية تنسب إلى (زيد بن علي بن الحسين) وتاريخهما مليء بالخلافات والمعارك. ومن أشهر شعراء الشيعة (الفضل ابن عباس ابن عتبة، قيس ابن عمرو، عامر ابن وائلة الكندي، أبو الطفيل، كثير عزة، الكميت الأسدي،السيد الحميري ودعبل الخزاعي...).

إذ"كثر شعراء الشيعة يتقدمهم كثير شاعر الكيسانية والكميت شاعر الزيدية، ولعل من الطريف أننا نجد عند أولما عقيدة الكيسانية ماثلة في أشعاره بكل ما أوغلت فيه من تطرف في العقيدة الشيعية، كما نجد عند ثانيهما عقيدة الزيدية بكل أصولها المذهبية.

وإذا أخذنا نقرأ في أشعار غيرهما من شعراء الشيعة وجدناهم محزونين على أئمتهم الذين سفك الأمويون دماءهم، لا يرعون فيهم ذمة، وقد احولوا يبكونهم ويندبونهم بدموع لا ترق ولا تجف(...) فهو دموع وبكاء وزفرات على الحسين أولا ثم على زيد بن علي وابنه يحي، زفرات ودموع سخينة مثل قول (سليمان بن قشة) يرثى الحسين:

مررت على أبيات آل محمد ** فلم أرها كعهدها يوم حلت

وكانوا رجاء ثم صاروا رزية ** وقد عظمت تلك الرزايا وجلت

ألم تر أن الشمس أضحت مريضة ** لفقد حسين والبلاد اقشعرت[1]

ويقول (كثير بن عبد الرحمان بن أبي جمعة):

ومتى النبي المصطفى وابن عمه ** وفكاك أغلال ونفاع غارم

أبى فهو لا يشري هدى بضلالة ** ولا يتقي في الله لومة لاثم[2]

ويقول (الكميت بن زيد الأسدي):

بخاتمكم غصبا تجوز أمورهم ** فلم أر غصبا مثله يتغصب

وجدنا لكم في آل حاميم آية ** تأولها منا تقي ومعرب

1- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي ،ص315-316.

2- المرجع السابق، ص 320.

وفي غيرها آيا وآيا تتابعت ** لكم نصب فيها لذي الشك منصب

وقالوا ورثناها أبانا وأمنا ** وما ورثتهم ذاك أم ولا أب

ومن مميزات شعراء الشيعة:

-البكاء والتحريض على رد الثأر.

-الحزن العميق على الأئمة المستشهدين.

-الحقد الشديد على الأمويين والدعوة على الثورة عليهم.

-حب آل البيت حبا يملك على نفوسهم أهواءها وعواطفها وإحساساتها ومشاعرها.

-الزهد في الحياة ومتاعها الزائل.

هـ-شعراء حزب بني أمية:

"انقسم الأمويون في هذا العصر إلى فريقين، أحدهما كان مؤيدا للحزب الأموي من جهة، ويقف الآخر إلى صف الحزب العلوي؛ أي بين مناصر لمعاوية بن أبي سفيان ومؤيد لعلي بن أبي طالب، ثم كثرت الأحزاب"[1]

انحاز إلى هذا الحزب عدد هائل من الشعراء، لقوة نفوذه السياسي، ولأن الخلفاء يتذوقون الشعر ويشجعون الشعراء على الإبداع، بإغراقهم بالحوافز المادية، إذ كان الشعراء يركزون على المعاني الدينية (العدل، التقوى...).

و"أول صورة تلقانا للشعر السياسي المناصر لبني أمية، ما أخذ ينظمه الأمويون أنفسهم من مثل (الوليد بن عقبة)عقب مقتل عثمان بن عفان، إذ مضوا يهاجمون الثوار، الذين قتلوه جاعلين أنفسهم أصحاب الحق في الثأر من قتلته، فهم أهله الأقربون، ومن ثم فهم أولياء دمه (...) انقسمت الجماعة الإسلامية شيعا وأخذت كل شيعة تحاول أن تفرض رأيها السياسي باللجوء إلى السيف والقوة (...) ولم يلبث طلحة والزبير أن سقطا في وقعة الجمل فخلا الجو لمعاوية ومطالبة الثأر من قتلة ابن عمه عثمان (...) وتطورت الظروف وقتل علي بعد التحكيم، وبايع الناس معاوية، ودخلت العراق في طاعته وطاعة من خلفوه من الأمويين ولكنها ظلت تعارضهم خفية، وكلما استطاعت أن تجهز بمعارضتها نهضت

1-أحمد الحوفي، أدب السياسة في العصر الأموي، دار القلم، بيروت، لبنان، (د.ت)،ص6-7.

إلى ذلك تارة مع الخوارج، وتارة مع الشيعة (...) وعارضهم الحجاز في عهد (يزيد بن معاوية) وتجسمت معارضتها في عبد الله بن الزبير.

قال (جرير) في مدح الخليفة (عبد الملك بن مروان):

وإني قد رأيت علي حقا زيارتي الخليفة وامتداحي

**

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

**

أبحت حمى تهامة بعد نجد وما شيء حميت بمستباح[1]

**

كما مدح الفرزدق (بني مروان) مؤيدا أحقيتهم للحكم هاجيا (ابن الزبير):

فالأرض لله ولاها خليفته وصاحب الله لمعير مغلوب[2]

**

1-جرير بن عطية، الديوان، تح، مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص255.

2-أحمد محمد الحوفي، أدب السياسة في العصر الأموي، ص146.

قائمة المصادر والمراجع:

1-أحمد الشايب، تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني، دار القلم، بيروت، لبنان، (د.ت).

2- أحمد الحوفي، أدب السياسة في العصر الأموي، دار القلم، بيروت، لبنان (د.ت).

3- أحمد بن محمد بن عبد رب،تح، عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1997م.

4- أبي الفرج الأصفهاني، الأغاني، شرحه وكتب هوامشه، سمير جابر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مج 20، 1992م.

5- جرير بن عطية، الديوان، تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت).

6-شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، ط13، دار المعارف، القاهرة، 1992م.

المحاضرة الخامسة

(قضيّة التّقليد والتّجديد في الشّعر العبّاسيّ)

عناصر المحاضرة:

-تمهيد.

1-قيام الدولة العباسية.

2-الأوضاع السائدة في المجتمع العباسي:

2-1-الحالة الفكرية والأدبية.

2-2-الحياة الاقتصادية.

2-3-الحياة السياسية.

2-4-الحياة الاجتماعية.

3-اتجاهات الشعر في العصر العباسي:

أولا/الاتجاه القديم:

1-في مفهوم الاتجاه القديم (التيار الكلاسيكي):

أ- لغة.

ب-اصطلاحا.

2-الأغراض الشعرية في الاتجاه القديم(المقلدون):

ثانيا/الشعراء المجددون(المولدون):

1-في مفهوم الشعر المجدد (المولد).

2-الأغراض الشعرية في الاتجاه المولد (الجديد).

ثاثا/مظاهر التجديد والتطور في القصيدة العباسية.

-خاتمة.

-قائمة المصادر والمراجع.

تمهيد:

يعد العصر العباسي من أزهى العصور في تاريخ الأمة الإسلامية، إذ تغيرت الحياة في الدولة العباسية نظرا للعناصر المختلفة الدخيلة عليها من تركية، فارسية، بربرية، وسريانية ورومية، بالإضافة للعادات والتقاليد المختلفة، حيث انتقل العرب من حية البدو إلى عالم المدينة، وقد أدى هذا الامتزاج إلى الانحطاط الخلقي وتعاطي الخمر علنا وسرا، كما عاقر الخمر الخلفاء والعلماء، وعقدت مجالس الأنس والطرب وأرباب الموسيقى، فاتخذهم الأعيان والأمراء ندماء لهم.

1-قيام الدولة العباسية:

حين ضعفت الخلافة الأموية بسبب الخلافات الناشئة بين أمراء البيت الأموي، وجد الموالي من الفرس ثغرة يتنفسون منها، ويكيدون للأمة العربية ممثلة في بني أمية، وكان هؤلاء الموالي يلاقون من الاضطهاد والعنت من الخلفاء الأمويين،وخاصة في الأقاليم الشرقية الشيء الكثير، وقد سارع أبناء العباس إلى انتهاز هذه الفرصة،دون أبناء عمهم من العلويين الذين كانوا موزعين بين أمامية، وكيساينة وزيدية.

واستغل العباسيون تلك القوى الجبارة في شرق البلاد الإسلامية وفي إقليم خراسان بالذات.

و"في سنة 132ه استطاع بنو العباس بمعونة مواليهم من الفرس، أن يقضوا على ملوك بني أمية وأن يسيطروا على رقعة الخلافة شرقا وغربا، وتمكنوا من قتل (مروان بن محمد) آخر خلفاء (بني أمية) في قرية بوصير، وتحولت الخلافة من دمشق إلى العراق، فكانت بغداد عاصمة الخلافة العباسية وحضارة الإسلام الأولى،إلى أن سقطت في أيدي التتار سنة 656ه"[1]

" استولى بني العباس على الخلافة بعد اكتساحهم للأمويين في موقعة الزاب الشهيرة سنة 132، والواقع أن النظر إلى الحركة العباسية على أنها مجرد انقلاب ذهب بحكم طائفة

[1]-حامد حفني داوود، تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م، ص6.

وجاء بحكم أخرى هو تبسيط مخل للأمور لابد من استبعاده، ألن ما حدث كان أكبر من ذا كان الأمر كذلك فلا يبقى إلا أن تكون ثورة، ولكن أي نوع من الثورة هي إنها ثورة مست مختلف جوانب الحياة في ظل ذلك الانقلاب الحضاري الذي استجد. لقد تجاوز العباسيون الانطواء، والتقوقع على النفس، الذي وقع فيه الأمويون، وانفتحوا على الأجناس الأخرى كالهنود والفرس والروم، وأصبحت عاصمة الخلافة بغداد ملتقى الحضارات والأديان..."[1]

وقد "قامت الدولة العباسية على أكتاف الفرس خاصة، والشعوبية عامة، والعرب المناهضين للدولة الأموية (علويين وعباسيين). فشلت كفة العرب وربحت كفة الأعاجم، وأصبح العرب عنصرا من العناصر الكثيرة التي احتوتها الدولة العباسية، ونقلت عاصمة الدولة من دمشق العربية إلى بغداد على حدود فارس، وبجوار مدائن كسرى، فتحول بذلك وجه الدولة عن البحر المتوسط وتوجه شطر فارس. وبذلك تحولت العادات والتقاليد الفارسية صوب بلاد العرب وتأثر العرب بأساليب الفرس في الحرب، وتنسيق الدواوين، ونظم الحكم والحياة الاجتماعية متمثلة في: الأكل، الشرب والملبس وتأسيس القصور والأعياد ومجالس اللهو والطرب".[2]

2-الأوضاع السائدة في المجتمع العباسي:

2-1-الحالة الفكرية والأدبية:

"كانت الحياة الفكرية بجوانبها الأدبية والعلمية نقطة مضيئة في العصر العباسي على اختلاف مراحلها وتقلب الأيام فيها، فقد شهد منذ بدايتها حركة نشيطة في مجال التدوين والتأليف والترجمة كما نال المبدعون فيها سواء أكانوا شعراء أم علماء رعية وتشجيعها من

1- عز الدين إسماعيل، في الشعر العباسي "الرؤية والفن"، ط 1، المكتبة الأكاديمية، مصر، القاهرة، (د.ت)، ص18.

2- حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، المكتبة البوليسية، بيروت، لبنان، (د. ت)، ص350.

الخلفاء والوزراء والقادة ورجال الحكم بشكل عام، وجاء نتاج مبدعين في هذا العصر إنتاجا متميزا".[1]

و"قد كان لامتزاج العنصر العربي بالعناصر الأجنبية الأخرى تأثير في الحياة العقلية والثقافية لأن لكل عنصر من هذه العناصر عاداته وتقاليده وأفكاره وآدابه التي تميزه عن الآخر وربما كان لهذا الامتزاج بين العرب والفرس والروم والهنود أثر كبير في هذا العصر لأن مزج الثقافات المختلفة مع بعضها البعض يؤدي إلى خلق بيئة تمتع بقدر كبير من الخصائص والمميزات المختلفة وقد كانت الدولة العباسية وبخاصة في العصر العباسي الثاني مؤمنة إيماناً تاماً بالروح العلمية والحرية الفكرية وهنالك بعض الملامح التي تبرز الحياة الفكرية والثقافية في هذا العصر وترسم فيه صورة المجتمع من خلال تلك الحياة المتسعة بثقافتها المختلفة والحقيقة أن ذلك العصر أزهى عصور العلم في بلاد الإسلام قاطبة لأنه كان أول عصر تلقى علوم الثقافة الإسلامية كلها كاملة مفروغاً من وضعها وترجمتها وتحضيرها".[2]

إذ نشطت الحركة الثقافية في العصر العباسي، نشاطا واسعا، إذ تميزت بما يلي:

-نالت اللغة العربية حظا وافرا من قبل العلماء باعتبارها لغة القرآن الكريم، وهناك من نذروا في خدمة هذا الدين.

-ترجمة الكثير من المؤلفات.

-ارتباط علم التاريخ بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم.

-تعدد مراكز الإشعاع، فلم يعد الأدب والعلم يقتصر على عاصمة بغداد وحدها، بل انتشرت في (حلب والقيروان والقاهرة).

2-2-الحياة الاقتصادية:

1- مصطفى السيوفي، تاريخ الأدب في العصر العباسي، ط 11، الدار الدولية للاستثمار الثقافية، مصر، القاهرة، 2008م،ص18.

2- عباس محمود العقاد، ابن الرومي – حياته من شعره،ط6، دار الكتاب العربي، بيروت،لبنان، 1967م،ص40.

"عملت الدولة العباسية منذ البداية على تحقيق التوازن في السياسة المالية بين الإيرادات والمدفوعات، فقسمت الميزانية العامة إلى قسمين: قسم الاستخراج و يقصد به المد خول، وقسم النفقات ويقصد بها المصروفات أي المدفوعات.

أولا: الاستخراج أو الإرادات:

شكلت الخراج والجزية والزكاة والغنيمة والعشور أهم مورد بيت المال في الدولة العباسية.

أ: الخراج:

هذه السياسة المتبعة في جمع الأموال أشعرت الناس بثقل العبء الملقى على عوائقهم وهي سياسة ظهرت لما:" تولى أبو جعفر المنصور الخلافة وضع نظاما صارما لمراقبة عمال الخراج وردعهم و معاقبتهم إذا تعسفوا في جمعهم الخراج، واعتنى المنصور بتنظيم ديوان الخراج مخصصا له مكانا في بغداد على مقربة منه، محتفظا فيه بمجلات يرجع إليها في تقديم قيمة الخراج مراع فيمن تولى وظائفه من الموظفين الأمانة والدقة، والتفقه في أمور الدين".[1]

ب: الجزية:

"كانت فريضة الجزية من بين أهم مصادر المال وموارده، وهي تؤخذ من أهل الذمة، على النصارى واليهود في الدولة العباسية،مقابل حمايتهم والدفاع عنهم، وكانت الجزية تجمع من الرجال القادرين على حمل السلاح بعد أن وزعت عليهم بنسب مختلفة، فيدفع الفقير 86 درهما في السنة، والمتوسط الحال 24 درهما في السنة والثري 48درهما في السنة".[2]

ج: المواريث:

---

[1]- محمد عبد العظيم أبو النصر، الدولة العباسية، التاريخ السياسي والحضاري،ط1، شركة نوابغ الفكر، مصر، القاهرة، 2009م،ص267.

2- إبراهيم أيوب، التاريخ العباسي والسياسي و الحضاري،ط1، دار الكتاب للعالمين، بيروت، لبنان، 1989م،ص238.

انشأ ديوان المواريث الخليفة العباسي (المعتمد)،وهي الأموال التي يتركها الميت الذي لا يملك من يرثه، فمن يزرع في أرضها ويصلحها تعتبر ملكه الخاصة.

د: ضريبة الخمس:

وهي الضريبة التي تدفع لبيت المال، مقابل استخراج الثروات الباطنية (الذهب، المعادن)،وما يقذفه جوف البحر كاللؤلؤ والمرجان،إضافة إلى ما يصدر من أموال الأمراء والوزراء والرسوم الجمركية.

كما اعتنت الدولة العباسية بالقطاع الزراعي عناية كبيرة، فحفرت الآبار وأقامت الجسور بين نهر (دجلة والفرات)، ومن أشهر منتجاتهم: الشعير، الذرة، التفاح، الزيتون، الكروم، قصب السكر.

ولقد اهتم المزارعون بتربية الأبقار والجاموس للاستفادة من ألبانها، واستغلوها في حرث الأراضي،ونظرا لتنوع الضرائب في الدولة العباسية، وجهت عنايتها أيضا إلى الصناعة، واستثمروا في مناجم الحديد ب(خرسان)،كما استخدموا النفط والغاز والملح و الكبريت والرخام،صناعة الزجاج المنقوش بالذهب، والنسيج والخزف، و صناعة الورق.

بالإضافة إلى توفرها على التجارة الداخلية باعتبارها همزة وصل بين الشرق والغرب، لتبادل المنتجات والسلع بين مختلف المناطق، هذا ما جعلها تزدهر تجاريا، كأسواق البصرة وبغداد.

وبرغم كثرت وتنوع الضرائب أيام العباسيين، لم يتذمر الناس لأنها تتناسب مع الرقي الاقتصادي الذي بلغتها الدولة في شتى الميادين.

إلا أن هذا الرخاء سرعان ما تلاشى بسبب إسراف الخلفاء في المال بلغ حد الخيال.

2-3-الحياة السياسية:

"انقسم الجيش العباسي إلى قسمين: "الفرسان أو الحربية وهم الذين كانوا يتسلحون بالرماح وهم من جنود العرب، والمشاة وهم من الفرس ولاسيما الخراسانيين بسبب مساندة هؤلاء للعباسين في إقامة دولتهم، وقسم الجيش العباسي أيضا إلى فرق كل فرقة من عشرة ألاف جندي بإمرة أمير، وتتكون الفرقة من كتائب كل كتيبة من ألف

جندي بقيادة قائد، وتنقسم الكتيبة إلى وحدات، كل وحدة من مائة جندي برئاسة نقيب، ثم تنقسم لوحدة إلى فصائل كل فصيلة من عشرة جنود عليها عريف"[1]

كما تغيرت عاصمة الدولة العباسية من(دمشق)إلى (بغداد)،و طغى الطابع الفارسي على الدولة العباسية، مما أدى إلى انقسام وتفكك الدولة العباسية، بسبب كثرت الثورات والفتن، وهذا ما ساهم أيضا في ضعف العنصر الفارسي، ودخول العنصر التركي الذي سيطر على زمام الأمور.

2-4-الحياة الاجتماعية:

"بذر الأمويون حب العنصرية القومية، التي امتدت حتى انقطعت حبالها بتقلص ظلهم في عهد بني العباس، الذين لم يؤمنوا العرب على أمورهم، فليس لهم إلا التمكين لحلفائهم الفرس حماة دولتهم.

نقل هؤلاء الفرس عاداتهم وتقاليدهم وثقافتهم وإزاء النفوذ الغالب للتقاليد الفارسية انسربت إلى جسم المركز الخلافي عادات الأمم الأخرى وكانت معدة بغداد جبارة هضمت كل ذلك التركيب العجيب"[2]

"وقد جعلوا للغناء والرقص، مجالس أسهم فيها الشعراء والعلماء والأدباء، بكل فنٍ مستطرف وبديع متطرف فلا تدري! أهي مجالس شراب عقدت من أجل الفن والأدب، أم مجالس فنٍ وأدب كانت من أجل الشراب! وكان لهذه المجالس ملابسها الخاصة، يسمونها ثياب المنادمة وهي أثواب مصبغة بالألوان الزاهية يصقلونه حتى تلمع وتشرق، يعطرونها بالطيب ويزينونها بنسيج الذهب"[3]

وقد برزت طبقتين في المجتمع العباسي، طبقة تتنعم بالثراء الفاحش، وأخرى فقيرة، وظهور كل أشكال اللهو والترف والانحراف والمجون والزندقة، بالإضافة للشعوبية التي لم

1- إبراهيم أيوب، التاريخ العباسي و السياسي و الحضاري، ص220.

2- علي شلق، ابن الرومي في الصورة والوجود،ط1، دار النشر للجامعيين،بيروت، لبنان، 1960م، ص48.

3- جورجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي،ط2، مراجعة وتعليق حسين مؤنس، دار الهلال، بيروت، لبنان،ج 4، 1982م،ص175.

تقتصر فقط في التفاضل بين العرب والفرس، بل تعدت إلى تفضيل الأعاجم، ولا ننسى تطور وازدياد حركة العمران.

3-اتجاهات الشعر في العصر العباسي:

من بين القضايا النقدية التي عالجها الأدباء والنقاد العرب في العصر العباسي، قضية (القديم والجديد) في الإبداع الشعري، وقد تحول ونقل نقلة نوعية مواكبا مختلف التطورات والمراحل التي حصلت في ذلك العصر، إذ برز في العصر العباسي اتجاهين شعريين متباينين:

انتهج أصحاب النهج الأول نهج القدماء وسلك سبيلهم، أما أصحاب النهج الثاني أرادوا انتهاج نهج جديد يعبر عن عصرهم ومشاعرهم.

أولا: الاتجاه القديم:

1-في مفهوم الاتجاه القديم (التيار الكلاسيكي):

أ- لغة:

"قلد قلده الأمر ألزمه إياه، وهو مثل بذلك، وقلد الأمر احتمله وكذلك تقلد السيف و مقلد الرجل: موضع نجاد السيف على منكبيه، والمقلد من الخيل: السابق يقلد شيئا ليعرف أنه قد سبق، والمقلد: موضع، مقلدات الشعر البواقي على الدهر"[1]

ب-اصطلاحا:

التقليد "في معانيه الأدبية العامة، يشتمل محاكاة كل ما تواضع عليه الأدباء قديما من صور بلاغية، وتركيبات أسلوبية توارثها عنهم الأدباء المعاصرون"[2]

1- ابن منظور أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب،ط4،دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، مج12، 2004م، ص173.

2-مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات في اللغة والأدب، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان،1984م، ص117.

والتقليد هو المحافظة على طريقة القدماء في نظم قصائدهم، إذ وقف الخلفاء العباسيون وعلماء اللغة والدين،موقفا حازما في بعث روح الإيمان فيهم بأن الشعر القديم هو القدوة المثلى التي يتمسك به تمسكا شديدا، للمحافظة على دلالات القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ودراسة اللغة العربية والتعمق فيها، لأن كثيرا منهم كانوا حديثي عهد باللغة العربية وبالدين.

"وهذا الاتجاه النقدي المتعصب للقديم قد ظل سائدا ليست بالقصيرة فإنه لم يستطع أن يصمد أمام اتجاه آخر آخذ في الانتشار والذيوع متخذا من الإنصاف وتحكيم المنهج الموضوعي سبيلا له"[1]

وفي هذا الصدد يقول(ابن رشيق) معبراً عن هذا الاتجاه: "وكان أبو عمرو بن العلاء لا يعد الشعر إلا المتقدمين، قال الأصمعي جلست إليه ـ يقصد أبا عمرو بن العلاء ـ ثماني حجج فما سمعته، يحتج ببيت إسلامي، وسئل عن المولدين فقال: ما كان من حسن فقد سبقوا وما كان من قبيح فهو من عندهم، ليس النمط واحدا: ترى قطعة ديباج، وقطعة مسيح، وقطعة نطع، هذا مذهب أبي عمرو وأصحابه: كالأصمعي وابن الأعرابي – أعني أن كل واحد منهم يذهب في أهل عصره هذا المذهب، ويقدم من قبلهم – وليس ذلك لشيء إلا لحاجتهم في الشعر إلى الشاهد، وقلة ثقتهم بما يأتي به المولدون ثم صارت لجاجة".[2]

وقد قسم (محمد مصطفى هدارة) النقاد القدماء إلى فريقين مختلفين: "فقد وجد فريقان يختلفان حول الشعر العربي: فريق يتشبث بالماضي بكل ما له من قوة، ويحارب التطور الجديد، ويتمثل هذا الفريق في رواة الشعر وعلمائه، والفريق الآخر ينزع إلى التجديد ليتكيف مع الحياة الجديدة، ويتمثل في بعض الشعراء الذين كانت عندهم الشجاعة الكافية

1-محمد مصطفى أبو شوارب، أحمد محمود المصري، قضايا الإبداع الفني دراسات تحليلية في النقد العربي القديم،ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، القاهرة،(د.ت)،ص190.

2- أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،،ط4، تح، محمد محي الدين عبد الحميد دار الجيل، بيروت،لبنان ج1، 1972م، ص90-91.

للثورة على القديم، والاصطدام بالرواة وهم الفئة المهيمنة إذ ذاك على أذواق الناس وفهمهم لطبيعة الشعر".[1]

ويرى (ابن قتيبة) : "لم أسلك فيما ذكرته من شعر شاعر مختارا له سبيل من قلد أو استحسن باستحسان غيره ولا نظرت إلى المتقدم منهم بعين العدل على الفريقين، وأعطيت كلا حظه، ووفرت عليه حقه، فإني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله، ويضعه في متخيره، و يرذل الشعر الرصين ولا عيب له عنده، إلا أنه قيل في زمانه،أو أنه رأى قائله"[2]

2-الأغراض الشعرية في الاتجاه القديم (المقلدون):

*غرض المدح:

سار العباسيون على خطى الشعراء القدامى في مدح الولاة والخلفاء، برسم في ممدوحه المثالية الخلقية، بالإضافة إلى مثالية الحكم و تقوى الله والعدالة، مستعملين الأسلوب الرقيق، واللحن الخفيف وبساطة التصوير، إذ تبارى الشعراء في الإشادة ببني عباس،تلهفا على عطايا الخلفاء المسرفة، بالإضافة إلى مدح الأبطال والقادة، وهذا ما وقفنا عليه في شعر (ابن الرومي) الذي جرى في مدحه على مألوف شعراء المديح من تملق وسؤال ينقلب إلى الإلحاف أحياناً وتذلل بين أيدي العظماء والوجهاء، إلا أن ذلك كله شُفَّ وبجلاء عن تكالبه على أطايب الحياة وعن تألمه من الحرمان الذي يدفعه إلى جميع ذرائع الكسب، وعن أمله في نوال ما يبتغيه من شهواته، ذلك الأمل الذي توليه الشهوات قوة ثائرة، ويكشف عما في نفس صاحبه من جشع نهم وسخط على الإقلال، ولم يكن الشاعر لينال دائماً مبتغاه، ولذلك يعيد الكرة متظلماً أحياناً مذكراً بالوعود متشكياً

1- محمد مصطفى هدارة،مشكلة السرقات في النقد العربي،ط3،المكتب الإسلامي، بيروت،لبنان، 1981م، ص23.

2-ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق وشرح، أحمد محمد شاكر، ط2، دار الحديث، مصر،القاهرة،ج1، 1988 م، ص68.

في ووجع ويثور أحياناً أخرى ناقماً، مهدداً، معالجاً جميع وسائل الإقناع لإرغام الممدوح على العطاء".[1]

ثانيا: الشعراء المجددون(المولدون):

1-في مفهوم الشعر المجدد (المولد):

في بداية العصر العباسي نهج الشعراء المجددون(المولدون) بنهج شعري جديد، للتعبير عن عصرهم ومشاعرهم، وكان الرقي والازدهار الفكري دافعا للتنقيب واستحداث الجديد في نظم الشعر، ومنذ بداية هذا العصر نجد(بشار بن برد، أبو نواس،أبو العتاهية، مسلم بن الوليد وأبو تمام...)يحاولون التجديد، إلا أن طبقة النقاد اللغويين رفضوا هذا التيار الجديد، وفي المقابل برزت في الميدان طبقة من النقاد شجعته ووقفت إلى جانبهم.

وهذا ما ذهب إليه (ابن رشيق القيرواني) في قوله: "نجد الشعراء الحذاق تقابل كل زمان بما استجد فيه وكثر استعماله عند أهله بعد أن لا تخرج من حسن الاستواء، وحد الاعتدال، وجودة الصنعة، وربما استعملت في بلد الألفاظ لا تستعمل كثيرا في غيره: كاستعمال أهل البصرة بعض كلام أهل فارس في أشعارهم ونوادر حكاياتهم... والذي أختاره أنا التجويد والتحسين الذي يختاره علماء الناس بالشعر ويبقى غابر على الدهر، ويبعد عن الوحشي المستكره، ويرتفع عن المولد المنتحل..."[2]

ويشير (محمد زغلول سلام) أن: "مع تطور الزمن،زاد الشعر المحدث نضجا،كما زاد الإعجاب به في نفوس النقاد،حتى وصل إلى حد تعصب هؤلاء النقاد له،وتفضيلهم له على سائر أنواع الشعر"[3]

2-الأغراض الشعرية في الاتجاه المولد (الجديد): من بين الأغراض الشعرية البارزة في هذا العصر:

***غرض الحكمة:**

1- حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، المكتبة البوليسية، بيروت، لبنان، (د. ت)،ص530.

2- أبي علي الحسين بن رشيق القيرواني الأزدي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، حققه وفصاه وعلق حواشيه، محمد محي الدين عبد الحميد،ط5،دار الجيل، بيروت، لبنان،ج 1، 1998م، ص93.

3- محمد زغلول سلام، أثر القرآن في تطور النقد العربي، ط3،دار المعارف، مصر، القاهرة،(د.ت)،ص333.

اهتم الشعراء بتوظيف الحكمة، نتيجة تطور وازدهار الحركة الثقافية والعلمية والترجمة والاحتكاك الحضاري، وهو شعر يمثل روح الحياة العباسية، الذي اتسم بعمق المعاني وتحليل الأفكار، وهي علم يبحث عن الحقائق المستخلصة بالتجارب، وهي تصاغ بكلام موجز قصد أخذ العبرة بالاعتماد على الحجج والبراهين الدامغة.

وهي "علم يبحث فيه عن حقائق الأشياء على ما هي عليه في الوجود بقدر الطاقة البشرية، فهي علم نظري غير آلي"[1]

وهي "مدى للحياة العباسية المعقدة والحضارة الفارسية التي جاءت إلى الشعر بمعان جديدة لم تكن مألوفة للعرب من قبل هذا، بالإضافة إلى ما استلهم العرب آنئذ من بلاغات اليونان والفرس، فصدر عن ذلك شعر عميق مليء بالحكم والمعاني الدقيقة التي تتطلب من القارئ تفكيرا وروية، وكان "أبو تمام" زعيم هذه الطبقة من الشعراء"[2]

يقول (أبو العتاهية) في هذا الغرض:

الموت لا والد يبقى ولا ولد ** ولا صغيرا ولا شيخا، ولا أحدا

الموت فينا سهام غير مخطئة ** من فاته اليوم سهم، لم يفته غدا

ما ضر من عرف الدنيا وغرتها ** ألا ينافس فيها أهلها أبدا[3]

***الشعر التعليمي:**

" ظهر في العصر العباسي فن جديد هو فن الشعر التعليمي، خصص لنظم مختلف العلوم كالنحو والفقه والمنطق وسائر الفضائل الحميدة و السير النبيلة، بالإضافة إلى وصف بعض الكائنات الحية كالحيوانات الحشرات وسواها"[4]

1-علي بن محمد علي الحسيني الجرجاني، كتاب التعريفات، ط1، تح، نصر الدين تونسي، شركة القدس للتصدير، مصر القاهرة،2007م، ص154

2- حامد حنفي، تاريخ الأدب العربي في العهد العباسي الأول،ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر 1992م،ص15.

3- أبي العتاهية، ديوان أبي العتاهية، ط4، دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،2004م،ص195.

4- محمد عبد العزيز الوافي، حركة التجديد في الشعر العباسي، مطبعة التقدم، مصر، القاهرة، 1983م،ص126

قال الشاعر (أبو محمد القاسم بن علي الحريري البصري) في النحو:

حد الكلام ما أفاد المستمع ** نحو سعى زيد وعمرو متبع

ونوعه الذي عليه يبنى ** اسم وفعل ثم حرف معنى[1]

ويقول (علي بن الجهم) في (التاريخ):

يا سائلي عن ابتداء الخلق ** مسألة القاصد الحق

أخبرني قوم من الثقات ** أولو علوم وأولو هيئات[2]

***التغزل بالمذكر:**

بعد انتشار مجالس اللهو والشراب، وطغيان الفجور وكثرة المغنيات، انصرفوا وراء المجون الفاحش شاعت ظاهرة التغزل بالمذكر أول مرة عند الفرس، وعرف العرب هذه الظاهرة نتيجة اختلاطهم بالأمم الأخرى، ويعد (أبو نواس) من أبرز المؤسسين لهذا الاتجاه الخطير والجديد، وموضوع التغزل بالمذكر هو وصف الغلام بأوصاف المرأة.

***غرض الهجاء:** يمكن التميز بين لونين:

هجاء سياسي وهجاء شخصي، وقد امتاز بالسخرية والإيذاء،وتحول إلى شعر ذي مقطوعات قصيرة ومال إلى الهزل، الطعن في رجولة المهجو، ووصمه بعدم المروءة والشذوذ، بالإضافة إلى هجاء المدن، وقد امتاز بدقة الملاحظة، الطعن في النسب والعرض، السب والشتم بشكل رهيب(...).

قال (أبو تمام) يهجو (عتبة بن أبي عاصم):

حد الكلام ما أفاد المستمع ** نحو سعى زيد وعمرو متبع

أعيب يا ابن الفعلة اللخناء أأمنت من بذخي ومن غلوائي

حد الكلام ما أفاد المستمع ** نحو سعى زيد وعمرو متبع

1-علي جواد الطاهر، الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي، ط2، دار الرائد العربي،ب يروت، لبنان،1980م،ص441.

2-علي بن الجهم، الديوان، تح، خليل مردم بيك، المكتبات المدرسية، السعودية،(د.ت)،ص157-158.

فبحرمة الغرمول في آستك إنه قسم له حق على البغاء

حد الكلام ما أفاد المستمع نحو سعى زيد وعمرو متبع

**

دعواك في كلب أعم فضيحة وأخص أم دعواك في الشعراء [1]

***غرض الوصف:**

عرف هذا الفن تطورا ملحوظا نظرا للتحول الذي طرأ على المجتمع الذي انتقل من حياة البدو والترحال، إلى حياة الاستقرار والتمدن، وظهور ألوان البذخ والترف واللهو، ومظاهر الطبيعة والتأثر بالحضارة الجديدة من قصور ووسائل التسلية، بل وصفوا وسائل الثقافة وأدواتها من كتب وأقلام وخطوط ووصف الرياض والزهريات،ووصف الحيوانات ومختلف الأمراض.

يقول(ابن الرومي) واصفا الخمر:

ويتيمةٍ من كَرمها ومديمها لم يبق منها الدهر غير صميمها

**

لطُفتْ فقد كادتْ تكون مشاعة في الجو مثلَ شُعاعها ونسيمِها

**

صفراء تنتحل الزجاجة لونَها فيخال ذوب التبر حشو أديمها[2]

**

يقول (البحتري) في وصف قصر (المتوكل) بعد مقتله:

تغير حسن الجعفري وانسه وقوص بادي الجعفري وحاضره

**

تحمل عنه ساكنوه فجاءة فعادت سواء دوره ومقابره

**

إذ نحن زرناه أجد لنا الأسى وقد كان قبل اليوم يبهج زائره [3]

**

ويقول (أبو تمام) في وصف الغيث:

---

[1]-ديوان أبي تمام، تقديم وشرح، محي الدين صبحي، ط2،دار صادر، بيروت، لبنان، مج 2، 2007م، ص467.

2-ديوان ابن الرومي،شرح أحمد حسن بسج،ط1،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،1994م،ص115.

3- البحتري أبو عبيدة بن يحي الطائي، ديوانه، تح،حسن كامل الصيرفي، دار المعارف،مصر،القاهرة، 1963م،ص38

لم أر عيرا جمة الدؤوب ** تواصل التهجير بالتأويب

أبعد من أين ومن لغوب ** منها غداة الشارق المهضوب

نجائبا وليس من نحيب ** شبابة الأعناق بالعجوب[1]

***غرض الزهد والوعظ:**

أصبح الزهد، فكرة يعتنقها الشاعر وتتغلغل في نفسه وفؤاده، ولا يصور الشاعر سواها من المشاعر والأحاسيس،وهي حركة مضادة لمظاهر الزندقة والمجون،ولما الكثير من الأسماء المعروفة بزهدها (كسفيان الثوري،يحي بن معاذ،محمد بن سيرين،الفضيل بن عياض...).

"الشعر الزهدي كان نتيجة مركب النقص والحرمان، الذي مني به بعض الذين لم يبلغوا ما أرادوا من حياة ناعمة، يدلنا ذلك أن "أبا العتاهية" وهو من أشهر من عرف بهذا الشعر في هذه الفترة كان في نشأته ميالا للمزاج و اللهو ينظم شعره في الخلاعة والغزل، وسواء كان انقلاب "أبي العتاهية" إلى الزهد عن طواعية واختيار أو عن مركب الحرمان، فإنه يعتبر مبتدع في هذا الغرض الشعري في هذه الفترة، وقد لاقى هذا الفن رواجا عند المتصوفة والمستمسكين بالدين كالفقهاء والمحدثين و أهل الزهد والورع"[2]

ومن بين الشعراء التائبين الذين عبروا في شعرهم عن ندمهم وتأسفهم عما كان يصدر منهم في أيام الشباب:

أية نار قدح القداح ** وأي جد بلغ المازح

الله دار الشيب من واعظ ** وناصح لو سمع الناصح

يأبى الفتى إلا إتباع الهوى ** ومنهج الحق له واضح[3]

ويقول (أبوتمام):

1- ديوان أبي تمام، تقديم وشرح، محي الدين صبحي، ص376.

2- حامد حنفي، تاريخ الأدب العربي في العدد العباسي الأول، ص14-15.

3- أبو نواس، الحسن بن هاني، الديوان، دار صادر و دار بيروت، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص175.

أللعمر في الدنيا تجد وتعمر ** وأنت غدا فيها تموت وتقبر

تلقح آمالا وترجو نتاجها ** وعمرك مما قد ترتجيه أقصر

وهذا صباح اليوم ينعاك ضوؤه ** وليلته تنعاك إن كنت تشعر[1]

***غرض المجون:**

برز بشكل سافر فئة من المجان والمتزندقين، لأن" العصر العباسي كان عصر حرية في كل شيء، حيث أطلق فيه الناس لأنفسهم حرية التمتع والتلذذ، حتى شاعت الحرية شيوعا كبيرا إلى درجة أنها لم يحرم منها إنسان ولا جهلتها نفس من المؤمن إلى الزنديق، ومن الغني إلى الفقير"[2]

"ولئن أفادت حرية الفكر والدين من ناحية، فقد كانت لها عواقبها من ناحية أخرى، ذلك أنها ساهمت في نشر الخلاعة، والسكر، والمجون، وولدت البدع في الإسلام وأورثت الهزأ بالأديان، فالانتقال من البداوة إلى الحاضرة، ومن الفطرة الخالصة إلى العلم والفلسفة وتشعب الاختلاط وتنوعه أحدث اضطرابا في الأخلاق، والعادات، والنظم، وأطلق العصر للعواطف والأهواء والفلسفة، فنشأ تنافس اللذة والاستباق إليها، وإلى وصفها وضعف رقيب الدين والأخلاق على الحياة، وتغيرت ألفاظ الشعر"[3]

وخير من مثل هذا التيار (أبو نواس)، حيث نسمعه يقول:

وعادلة تلوم على اصطفائي ** غلاما واضحا مثل المهاة

وقالت قد حرمت ولم توفق ** لطيب هوى وصال الغانيات

فقلت لها جهلت فليس مثلي ** يخادع نفسه بالترهات

دعيني لا تلوميني فإني على ما تكرهين إلى الممات[4]

1- ديوان أبي تمام، تقديم وشرح، محي الدين صبحي، ص490.

2- صلاح الدين المنجد، بين الخلفاء و الخلفاء في العصر العباسي،ط2، دار الكتاب الجديدة، بيروت،لبنان، 1974م،ص161.

3- عبد الفتاح نافع، الشعر العباسي "قضايا وظواهر"،ط1، دار جرير، عمان، الأردن،2008م، ص31.

4-سمير إبراهيم، الأعمال الكاملة أبو نواس، أشرقت للنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ت)، ص104.

***غرض الرثاء:**

قال (أبو تمام حبيب بن أوس الطائي)، يرثي (خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني):

نعاء إلى كل حي نعاء ** فتى العرب اختط ربع الفناء

أصبنا جميعا بسهم النضال ** فهلا أصبنا بسهم الغلاء

ألا أيها الموت فجعتنا ** بماء الحياة وماء الحياء [1]

***غرض المدح:**

قال (أبي تمام) يمدح (المأمون):

دمن ألم بها فقال سلام ** كم حل عقدة صبره الإلمام؟

نحرت ركاب القوم حتى يغبروا ** رحلي، لقد عنفوا علي ولاموا[2]

ثالثا: مظاهر التجديد والتطور في القصيدة العباسية:

إن التطورات المختلفة التي طرأت على العصر العباسي، كانت دافعا إلى ظهور الشعراء المولدين الشغوفين إلى التجديد، رافضين التمسك أو المحافظة على الشعر التقليدي، لا في الشكل ولا في المضمون، بل يرفضون مسلك القدماء في الوقوف على الأطلال وقطع الفيافي، ودعوا إلى :

-نبذ المقدمة الطللية، والبدء بالموضوع الذي يتناسب مع البيئة، والحضارة المترفة متأثرين بالثقافات الجديدة، من فلسفة وعلم الكلام والمنطق والحكم المنقولة من التراث القديم، والتجديد في الأوزان الخليلية المعروفة، كما طوروا في القافية (المزدوج -المشطر- المسمط، الرباعيات والمخمسات...) بالإضافة إلى الدقة في الألفاظ وسهولتها، والاتكاء على قاموس ألفاظ الفنون والعلوم واستخدام العبارات المتداولة بين الناس واستعمال الأسلوب الغريب، مع المحافظة على اللغة ومقوماتها التصريفية التي تتلاءم مع حياة العباسيين، وتميز أسلوبهم بالرصانة والصفاء والرونق والجزالة وقوة البناء، وهناك من فضل الأسلوب السهل

1- ديوان أبي تمام، تقديم وشرح، محي الدين صبحي، ص273

2- المصدر السابق، ص74.

واللين مثل: (أبو نواس) و(أبو العتاهية)، والمزج بين لغة البدو الزاخرة بالألفاظ الوحشية، ولغة العامة الزاخرة بالألفاظ المبتذلة، وأكثروا من توظيف الصور البديعية وحسن استخدامها، والتهويل والمبالغة.

والاستشهاد بالحجج والأدلة والآراء الفلسفية، وتميزوا أيضا بحسن الابتداء، أو براعة المطلع وحسن الانتهاء.

ختاما يمكن القول، أن التطور المذهل الذي شاهده العصر العباسي في جميع مجالات الحياة:الفكرية،الثقافية، تطور العلوم والمعارف بالإضافة إلى الترجمة (المنطق، الطب، الفلسفة، الفلك) من عند الفرس والهنود واليونان،التي لعبت دورا هاما، واستطاعت نقل العلوم الدخيلة إلى العربية، ونقلوا معهم عاداتهم وتقاليدهم والتي أثرت بدورها في الموروثات العربية، حيث أصبح العرب يقلدون الفرس، في أساليب حياتهم وطرق معيشتهم التي اتسمت بالرفاهية والانفتاح،وانتشر اللهو والطرب ومجالس الخمر، وبث ضروب الخلاعة والانحلال الخلقي، وهذا ما خلق البلبلة ومختلف الاضطرابات والفوضى وشجع على انتشار سياسة الفساد، وانقسم المجتمع إلى طبقات مما أدى إلى قيام الثورات والانتفاضات، وفي المقابل ظهرت طائفة أخرى، أنكروا الحياة المادية، فاتجهوا إلى الزهد والتقشف، ومضوا يدعون الناس إلى عالم روحاني، حين تمتد إليها يد الموت الباردة، بعدما طال انغماسها في التيارات الصاخبة الحارة، كما لا ننسى الحديث عن الشعر، الذي احتل نصيب الأسد من التقدم، وذلك بتطور أغراضه واستحداثات أخرى.

قائمة المصادر والمراجع:

1- إبراهيم أيوب، التاريخ العباسي و السياسي و الحضاري، ط1، دار الكتّاب للعالمين، بيروت، لبنان، 1989م.

2- ديوان ابن الرومي، شرح أحمد حسن بسج، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1994م.

3- أبي علي الحسين بن رشيق القيرواني الأزدي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، حققه وفصاه وعلق حواشيه، محمد محي الدين عبد الحميد،ط 5، دار الجيل، بيروت، لبنان، ج 1، 1998م.

4- ابن منظور أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب،ط 4،دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، مج 12، 2004م.

5- أبو نواس، الحسن بن هاني، الديوان، دار صادر ودار بيروت، بيروت، (د.ت).

6- أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،ط4، تح،محمد محي الدين عبد الحميد،دار الجيل، بيروت،لبنان ج1، 1972م.

7- أبي العتاهية،ديوان أبي العتاهية،ط4،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،2004م.

8-البحتري أبو عبيدة بن يحي الطائي، ديوانه، تح،حسن كامل الصيرفي، دار المعارف مصر،القاهرة، 1963م.

9- جورجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي،ط2، مراجعة وتعليق حسين مؤنس، دار الهلال، بيروت، لبنان، ج4، 1982م.

10- حامد حنفي، تاريخ الأدب العربي في العهد العباسي الأول،ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر،1992م.

11- حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، المكتبة البوليسية، بيروت، لبنان، (د. ت).

12- ديوان أبي تمام، تقديم وشرح، محي الدين صبحي، ط2، دار صادر،بيروت،لبنان، مج 2، 2007م.

13- سمير إبراهيم،الأعمال الكاملة أبو نواس،أشرقت للنشر والتوزيع،القاهرة،(د.ت).
14- صلاح الدين المنجد، بين الخلفاء و الخلفاء في العصر العباسي،ط2، دار الكتاب الجديدة، بيروت،لبنان،1974م.
15- عباس محمود العقاد، ابن الرومي – حياته من شعره،ط6، دار الكتاب العربي، بيروت،لبنان، 1967م.
16-عبد الفتاح نافع، الشعر العباسي "قضايا وظواهر"،ط1، دار جرير، عمان، الأردن 2008م.
17- علي بن الجهم،الديوان، تح، خليل مردم بيك، المكتبات المدرسية، السعودية، (د.ت).
18- علي بن محمد علي الحسيني الجرجاني، كتاب التعريفات،ط1، تح،نصر الدين تونسي، شركة القدس للتصدير،مصر، القاهرة،2007م.
19- علي جواد الطاهر،الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي،ط2،دار الرائد العربي،بيروت،لبنان،1980م.
20-علي شلق، ابن الرومي في الصورة والوجود،ط1، دار النشر للجامعيين بيروت،لبنان، 1960م.
21-عز الدين إسماعيل، في الشعر العباسي "الرؤية والفن"،ط1، المكتبة الأكاديمية،مصر، القاهرة،1994م.
22- مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات في اللغة والأدب،ط2، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان،1984م.
23- محمد عبد العظيم أبو النصر، الدولة العباسية، التاريخ السياسي و الحضاري،ط1، شركة نوابغ الفكر،مصر،القاهرة، 2009م.
24- محمد عبد العزيز الوافي، حركة التجديد في الشعر العباسي، مطبعة التقدم،مصر،القاهرة، 1983م.

25-محمد مصطفى أبو شوارب، أحمد محمود المصري، قضايا الإبداع الفني دراسات تحليلية في النقد العربي القديم،ط1،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، القاهرة،(د.ت)

26- محمد مصطفى هدارة،مشكلة السرقات في النقد العربي،ط3،المكتب الإسلامي، بيروت،لبنان، 1981م.

27- مصطفى السيوفي، تاريخ الأدب في العصر العباسي،ط11، الدار الدولية للاستثمار الثقافية، مصر، القاهرة، 2008م.

28- محمد زغلول سلام، أثر القرآن في تطور النقد العربي، ط3، دار المعارف، مصر، القاهرة، (د.ت).

المحاضرة السّادسة

(الزّهد والتّصوّف في الشّعر العبّاسيّ)

عناصر المحاضرة:

-تمهيد

أولا/الزهد:

1-في مفهوم الزهد:

أ-لغة.

ب-اصطلاحا.

2-نشأة الزهد في الشعر العصر العباسي.

3-العوامل المؤثرة في ظهور الزهد:

أ-العامل الاجتماعي.

ب-العامل الذاتي.

ج-العامل الثقافي.

د-العامل الديني.

ه-العامل السياسي.

و-العامل الاقتصادي.

4-خصائص شعر الزهد

5-أقسام شعر الزهد.

ثانيا/التصوف:

-تمهيد.

1-في مفهوم التصوف.

2-نشأة التصوف الإسلامي.

3--قواعد التصوف.

4-أنواع الأدب الصوفي.

5-خصائص التصوف.

6-مراتب التصوف.
7-أقسام التصوف الإسلامي.
8-خصائص التصوف.
- نماذج من شعر التصوف.
-قائمة المصادر والمراجع.

تمهيد:

كان لتنوع وغنى واتساع رقعة الدولة العباسية، وانفتاحها على الدول الأجنبية دورا جليلا في تطور موضوعات الشعر، خاصة شعر (الزهد والتصوف) وهو الانصراف والعزوف والرغبة عن متع وملذات الدنيا، واعتزال الناس والميل إلى الوحدة الروحية، ومجاهدة النفس مجاهدة عنيفة، وترويضها ومفارقة مجالس اللهو، والعيش حياة هادئة مطمئنة لا يعكر صفو عزلته شيء، والانصراف إلى الآخرة، والابتعاد عن أمور الدنيا، وقد صور الشعراء الزهد أصدق تصوير، في مخاطبة الوجدان الإنساني الغافلين إلى المصير الذي ينتظرهم، والفوز بالآخرة لأنها دار بقاء واستقرار يستريحوا فيها من رحلة الشقاء ومن دار الفجائع والهموم.

أولا: الزهد:

1-في مفهوم الزهد:

أ-لغة:

جاء في (لسان العرب) أن:"لفظ زهد لا يقال إلا في الدين خاصة.والزهد ضد الرغبة والحرص على الدنيا، والتزهيد في الشيء خلاف الترغيب فيه والزهيد الحقير".[1]

ب-اصطلاحا:

هو الكف عن المحارم، والتوبة إلى الله،وهو القناعة والاكتفاء بالحاجة، و الرضا بالقليل، وصرف النظر عن الحياة وزينتها وهو نهي النفس عن الهوى وصفاء القلب".[2]

وفي نظر (يحي الشامي) هو: "التمسك بالتقوى والعمل الصالح مع الكسب والعمل، كأن الإنسان يعيش أبدا، وقد كانت هذه النزعة رد فعل لانصراف الناس بالعراق في

1-ابن منظور، لسان العرب، مادة زهد، دار صادر،بيروت،لبنان،،مج3،ج21،(د.ت)،ص1876.

2-يحي الشامي، أروع ما قيل في الزهد، ط1،دار الفضائل،دمشق،2009م،ص5.

عصر الفتوح إلى المادة ومتاع الدنيا، فعمت هناك موجة واسعة من الزهد في الدنيا ونعيمها الفاني".[1]

والشخص الزّاهد، هو العبد المتعبد الراغب عن الدنيا وزينتها، ويطمع في رضا الله سبحانه وتعالى و الفوز بالجنة، بإتباع المناسك والعبادات، منصرفين عن الخلق بعبادة الخالق.

2-نشأة الزهد في الشعر العصر العباسي:

بتطور المجتمع الإسلامي واتساع رقعة الفروق الطبقية بين أفراد المجتمع،اتجه بعض الناس إلى الزهد والانعزال، ومنهم الشعراء رغم استهتار بعضهم وعبثهم،إلا أنهم كانوا يجسدون في شعرهم صورا تعبر عن إيمانهم بالله والندم على ما ارتكبوه من معاص، ومنهم من لجأ إلى الزهد تكفيرا عما صدر منه من مجون في أيام الشباب، ويسمى هذا الشعر بالمكفر،وكان أبو العتاهية أول من طرق باب الوعظ والتزهيد في الدنيا في العصر العباسي لمعارضته معاصريه، ممن انغمسوا في ملذات الحياة والمجون والزندقة، ولعل هذا النوع من الشعر الوعظي أدى إلى ظهور شعر ينتقد الأوضاع الاجتماعية، ويدعو إلى إصلاح الأوضاع المتردية التي تساعد على ظهورها فساد الحكم في ذلك الوقت.

"كان ظهور الزهد انعكاسا لظاهرة اللهو والمجون،وتأييدا للجانب الجاد من الحياة الاجتماعية،وتوكيدا للتوبة التي كانت انعكاسا صادقا من الذين نفروا من الحياة العابثة الماجنة التي تسود في المجتمع"[2]

يقول صاحب الأغاني:"كان مذهب أبي العتاهية القول بالتوحيد،وأن الله خلق جوهرين متضادين،لا من شيء،ثم إنه بنى العالم هذه البنية منهما،وأن العالم حديث العين والصنعة لا محدث له إلا الله،وأن الله سيرد كل شيء إلى الجوهرين المتضادين،قبل أن تفنى الأعيان جميعا،وأن المعارف واقعة بقدر الفكر والاستدلال والبحث".[3]

1- عبد العزيز عتي ق،الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة، بيروت، لبنان، 1976م، ص 220

2-مصطفى هدارة، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني، دار المعارف، مصر، القاهرة، 1970م، ص24.

1-أبي الفرج الأصفهاني، الأغاني، شرحه وكتب حواشيه، سمير جابر،ط2،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج4، 1992م، ص37.

"لما كان العصر العباسي انقسمت الحياة إلى وجهين: وجه للجد ووجه للهزل، حيث أصبح الغلو والتطرف في ناحية من نواحي السلوك لدى بعض الناس، يقابلها غلو وتطور عند الناحية الأخرى منهم، فقد غالوا في طلب الملذات والانغماس في االشهوات، ثم اندفعوا إلى الزندقة والخروج عن مبادئ الإسلام وتعاليمها السمحة، غير أن هذا لا يعني أن المجتمع كله قد فسد، ولم يعد فيها أصحابها إلى الابتعاد عن مباهج الحياة والتعقيد من شأنها أملا في الوصول إلى التفكير في الموت والعقاب والحساب، ثم العودة إلى عالم الإيمان والتقوى قبل فوات الأوان"[1]

"ليس هناك مجال للشك من ارتباط حركة الزهد والتصوف بالفكر الديني الإسلامي والأوضاع الاجتماعية والسياسية الإسلامية في أنه لا صلة لنشأة تلك الحركة بأي مؤثر خارج البيئة الإسلامية، نقول هذا لأن بعضا من المستشرقين نسبوا نشوء هذه الحركة الإسلامية إلى عناصر أجنبية؛ يرتد بعضها إلى الرهبنة المسيحية ويرتد بعضها الآخر إلى البوذية الهندية، بينما يرتد بعضها الثالث إلى الفلسفة الأفلاطونية، قد يكون لهذه العناصر الأجنبية أو لبعضها تأثير في نمو الحركة وتشعباتها خصوصا في جوانب المبالغة والغلو التي ظهرت في فترات متأخرة من مسيرتها، أما مرحلة النشأة فهي مرحلة إسلامية خالصة"[2]

في العصر العبّاسيّ تطوّر شِعر الزُّهد تطورا ملحوظا ؛ حيث برز الكثير من الشعراء الذين عَمَدوا إلى ترك ملذات الدُّنيا، والتّفرُّغ للعبادة، كردّة فعل على حركة الزّندقة التي انتشرت بشكل مريب بين النّاس.

وقد مر شِعر الزُّهْد بعدة مراحل ساهمت في نشأة التّصوف،إذ حاولوا من خلاله التقرب إلى الله وكشف الأسرار التي ترتبط بالخالق واللجوء للمنجاة الإلهية،هروبا من الصراعات السياسية والمذهبية،وتذكير الناس بأهمية تطبيق قواعد الشريعة الإسلامية.

1- مصطفى محمد الشكعة، الشعر والشعراء في العصر العباسي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1973م، ص 210.

2-مصطفى السيوفي، تاريخ الأدب في العصر العباسي،ص54.

ومن أبرز شعراء الزهد في هذه الفترة : (رابعة العَدويّة، أبو العتاهية، عبد االله بن المبارك أبو نوّاس، الفضيل ابن عياظ،عبد العزيز ابن سليمان(سيد العابدين)،سفيان الثوري و ابن الفارض...).

يقول (عبد الله بن المبارك):

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا ** لعلمت أنك في العبادة تلعب

من كان يخضب جيده بدموعه ** فنحورنا بدمائنا تتخضب

أو كان يتعب خيله في باطل ** فخيولنا يوم الصبيحة تتعب [1]

ويعتبر (أبو العتاهية) من أهم الشعراء الذين نظموا في هذا الغرض بكثرة، ومن زهدياته:

رغيف خبز يابس ** تأكله في زاوية

وكوز ماء بارد ** تشربه من صافية

وغرفة ضيقة ** نفسك فيها خالية[2]

ويقول (أبو العتاهية) مخاطبا الدنيا:

قطعت منك حبائل الآمال ** وحططت عن ظهري المطي رحلي

ويئست أن أبقى لشيء نلت منه ** فيم يا دنيا وإن يبقى لي[3]

وفي الحكمة يقول (أبو فراس الحمداني):

الدهر يومان: ذا ثابت وذا زلل ** والعيش طعمان ذا صاب وذا عسل

كذا الزمان فما في نعمة بطر ** للعارفين ولا في نقمة فشل

1-شوقي ضيف،تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول،ط8،دار المعارف،القاهرة،(د.ت)،ص408.

2-أبو العتاهية، ديوان أبي العتاهية، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1986م، ص 16.

3-المصدر السابق، ص166.

سعادة المرء في السراء إذا رجحت ** والعدل أن يتساوى الهم والجذل [1]

ويقول (أبو العتاهية):

قد سمعنا الوعظ لو ينفعنا ** وقرأنا جل آيات الكتب

كل نفس ستوافي سعيها ** ولها ميقات يوم قد وجب

جفت الأقلام من قبل بما ** حتم الله علينا وكتب[2]

3-العوامل المؤثرة في ظهور الزهد:

هناك عدة عوامل متضافرة أدت إلى اتساع وشيوع دائرة الزهد في هذا العصر، يمكن إجمالها في:

أ-العامل الاجتماعي:

نتيجة انشغال الناس بحياة البذخ، واللهو والطرب في المجالس، وانتشار السرقات وغيرها من السلوك الفاسدة المنافية للدين الإسلامي، هذا ما أدى إلى بروز مجموعة من الأفراد الغيورين على دينهم، وطالبوا بضرورة الالتزام بالقيم الإسلامية وانتهاج نهج الرسول-صلى الله عليه وسلم-والصحابة.

ب-العامل الذاتي:

اتخذوا من العزلة سلاحا للابتعاد نهائيا عن صخب الدنيا ومحرماتها، حفاظا على أنفسهم من الوقوع في المعاصي، فذهبوا إلى مناطق خالية من أجل التوبة والاستغفار، خوفا من عذاب جهنم.

ج-العامل الثقافي:

1-ديوان أبي فارس الحمداني، شرح فيصل الدويهي، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1994م، ص 256.

2-أبو العتاهية، الديوان، ص 42-43.

بعد أن اختلط العرب بثقافات مختلف الدول (الفارسية،الهندية،اليونان) و بروز حركات التحرر والترجمة والفتوحات،وانشغال العلماء بالأبحاث والعلوم،هذا ما أدى إلى امتزاج الفلسفة الغربية والعربية،هذا معد السبيل للزهاد للاستفادة من هذا التمازج،وكانت دفعا لكتابة أشعارهم الروحية.

د-العامل الديني:

في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، بيان واضح عن حقارة الدنيا، لأنها متاع الغرور والإنسان بطبعه يميل لإشباع رغباته، لذا عليه تزكية نفسه بالعبادة، وعدم الانغماس في الشهوات وضرورة العمل من أجل الآخرة، للظفر بثواب الجنة والنجاة من عذاب النار.

هـ-العامل السياسي:

استمرت الصراعات السياسية، بين المسلمين من أجل الخلافة، منذ أواخر خلافة (عثمان بن عفان) وظهور العصبية القبلية، واستمرت هذه الصراعات إلى عهد الإمام (علي بن أبي طالب)، إلا أن هذا الأمر لم يبعدهم عن الدين، وكان كل فريق يدافع عن أفكاره ومذهبه مستندا بنصوص القرآن الكريم ليبين موقفه ويؤيده.

و-العامل الاقتصادي:

بدأت الهوى تتسع في المجتمع الإسلامي بين الأغنياء والفقراء، نتيجة لهذا التناقض الاجتماعي، حيث نجد الحكام والأعوان غارقون في النعيم، والمعدمون لا يجيدون قوت يومهم،ونتيجة للظلم والقهر اضطر أغلبيتهم اللجوء إلى الزهد.

4-أقسام شعر الزهد:

للزهد أقسام وتتمثل هذه الأقسام فيما يلي:

-زهد في الحرام وهو فرض عين.

-الزهد في الشبهات وهو بحسب مراتب الشبهة فإن قويت التحق بالواجب، وان ضعفت الزهد في الشبهات، وهو بحسب مراتب الشبهة فإن قوي كان مستحبا.

-الزهد في الفضول وهو زهد فيما لا يعني من الكلام والنظر والسؤال واللقاء وزهد في الناس وزهد في النفس بحيث تهون عليه نفسه في الله.

-زهد جامع لذلك كله وهو الزهد فيما سوى الله، وفي كل ما يشغلك عنه وأفضل الزهد.

-خفاء الزهد وأصعبه الزهد في الحظوظ."[1]

5-خصائص شعر الزهد: من بين خصائص شعرهم:

*يغلب عليهم الطابع التعليمي.

*بساطة الأسلوب والألفاظ.

*رشاقة التعبير.

*الابتعاد عن التعقيد والتكلف.

*عدم التفنن في الخيال.

*النصح وإرشاد النّاس، وتقديم الموعظة لهم؛ ويكون ذلك بقِصص القُرآن والسُّنّة النّبويّة، مع سِير الصّحابة

*التوبة والاستغفار والابتهال والتوكل على الله والقناعة بأن الله وحده لا شريك له.

*البكاء على الأيام الخوالي.

*التقشف والإدبار عن ملذات الحياة الدنيا، والميل إلى العبادات، وإقامة الصلوات لبلوغ رضا الله والفوز بجنة الخلد، وذلك بمحاربة هوى النفس وما تتوق إليه.

1-وكيع بن الجراح، كتاب الزهد، تحقيق عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ج1، (د ت)، ص125

*ذكر الموت والخوف منه.

*ذكر الحساب والعقاب.

*التوجه للعمل الصالح.

*حث الناس على الصبر في أمور الدُّنيا، وما يُرافقها من قِلّة الرِّزق.

من خلال ما قيل، يمكن القول أن الزهد هو الإعراض والابتعاد عن المعاصي، والقناعة بما قسمه الله، فلا يفرح من امتلك ملذات الدنيا الفانية، ويوجه الناس نحو الحياة الأبدية، بإتباع المناسك والعبادات بتطهير القلب من الشوائب، وتزكية النفس من الوقوع في المحرمات، وهو يرتبط بسمو الروح، والأخلاق واجتماع الفكر، بالتقرب إلى الله سبحانه وتعالى بالمناجاة الإلهية، والدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثانيا: التصوف:

تمهيد:

يعد التصوف من أهم المباحث التي يستند إليها الفكر الإنساني،فهو لون من ألوان الأدب الرفيع،وهو موجود في كل الأديان وليس حكرا على الدين الإسلامي الحنيف وحده،بل متفتح على آفاق جديدة في استلهام الموروث التراثي الصوفي وتوظيفه،فالتصوف الإسلامي يستمد مبادئه من الكتاب والسنة النبوية الشريفة وأحوال الصالحين باعتباره معراج الإنسان إلى معرفة الحقيقة و عماد إصلاح القلب وتصفية الأبدان من الرذائل، وقوامه صلة الإنسان وإفرادها بالخالق العظيم،هروبا من واقع مادي وسياسي مأزوم،ويقوم التصوف الإسلامي على موضوعات بارزة كالمجاهدات والغيبيات والكرامات والشطحات وتنكشف الأسرار الكونية و استكناه المعاني النفسية،والامتثال لإرادة الله،ومن ثم تتحول الممارسات والأقوال إلى شطحات لا أساس لها من الصحة وتكون اقرب من عالم الأسطورة والأحلام.

1-في مفهوم التصوف:

اختلف آراء العلماء والأدباء حول مفهوم "التصوف" فهناك من يرى:

"أن كلمة صوفي مأخوذ من كلمة "سوفيا" اليونانية بمعنى الحكمة وأربابها هم الحكماء".

وهناك من يقول إن صوفي مأخوذة من كلمة"ثيو صوفي" بمعنى الإشراق أو محب الحكمة الإلهية.

وهناك من يقول إن كلمة"صوفي" نسبة إلى "صوفة"،وهو رجل زاهد متعبد في الجاهلية، كان قد انقطع إلى الله وعبادته وطاعته عند البيت الحرام."

وهناك من يذهب إلى أن كلمة"صوفي" مأخوذة من الصفاء، ويجعلون لها لفظة من نوعها وهي صوفي فعلا مبنيا للمجهول من "صافى" المأخوذ من الصفاء."

ويرى آخرون أن:"الكلمة مأخوذة من الصف، فكأنهم في الصف الأول بقلوبهم من حيث المحاضرة من الله تعالى.

وهناك من يقول أن الكلمة نسبة إلى أهل الصفة، الذين كانوا يلازمون صفة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم".

وفريق يجعلون الصوفي نسبة إلى الصوف لأنه كان لباس الزهاد والنساك والعباد ولباس الرسل والأنبياء، ولباس أهل الخشونة والفقر".[1]

عرف (ابن خلدون) التصوف قائلا:"أصلها العكوف عن العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل الجمهور من لذة مال وجاه..."[2]

1- نور الهدى الكتّاني، الأدب الصوفي في المغرب و الأندلس في عهد الموحدين،ط1،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،1971م،ص23-28.

2- ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،ط1،دار الكتب العلمية بيروت،لبنان،ج1، 1992م،ص514.

فالشخص المتصوف، يلتجئ إلى عبادة الله عز وجل والامتثال لأوامره والابتعاد عن نواهيه والابتعاد عن كل ملذات الحياة.

وهناك من يضيف ألفاظا أخرى يرى أنها قدمت بوصفها أصلا لاشتقاق كلمة صوفي ويرى أن "الاشتقاق الصوفي من الصف بمعنى أن الصوفي من حيث الروحانية تعتبر في الصف الأول بين أيدي الله تعالى أو لاتصاله به عز وجل".

فالصفاء أو الصفو الذي أقترح أن يكون أصلا لاشتقاق صوفي، لا يصلح لهذا بالنظر إلى الاسم المنسوب منه، فقياسه أن يقال:

"صفوي لا صوفي، بمعنى هو أحد الذين طهر الله قلوبهم من كذرات الدنيا، أو أنه من صافى ربه فهو صوفي..."[1]

المتصوف هو نقي الفؤاد لا يهتم بالتافهات الدنيا، بكل يسعى جاهدا إلى التقرب الله عز وجل، لذا انتقاه الله عز وجل عن باقي مخلوقاته،نظرا لصفائه ومدى إيمانه وتعلقه برضا الله عز وجل.

وهنا تبرز عدة ألفاظ يمكن أن تعد أصلا لكلمة "صوفي" فألفاظ: صوفة القفا، الصوفة المرمية،بنو صوفة،الصوف،جميعا مرشحة لأن تكون أصلا من الناحية الاشتقاقية،وبما يتوافق مع قواعد اللغة الصوفية بالخصوص،غير أن المعاني والدلالات التي تحملها هذه الألفاظ هي التي يمكن أن ترجع لفظة دون أخرى".

أما "بنو صوفة" فالمصادر التاريخية والأدبية تشير إلى أنهم ينسبون إلى "ربيط الكعبة" الغوث بن مرة" الذي كانت له الإجازة بالحج،وإنما سمي الغوث بن مرة "صوفة" لأنه لم

1- محمد علي كندي،في لغة القصيدة الصوفية،ط1،دار الكتاب الجديد المتحدة،طرابلس،ليبيا،2010م،ص44.

يكن يعيش لأمه ولد،فنذرت إن عاش لها لتعلقن برأسه صوفة ولتجعلنه ربيط الكعبة،فلما فعلت قيل له ولولده من بعده صوفة".[1]

2-نشأة التصوف الإسلامي:

"إن الصوفية الإسلامية ذات استقلال وخصوصية، بحيث تتميز عن كافة الضروب والخبرات التصوفية، فقد أثمر الإسلام عبر حضاراته الممتدة اتجاها روحيا امتاز بصفات خاصة فارقة، على مستوى الرؤى والتصورات العليا للوجود والمفاهيم واللغة، بحث يصير من الخلط أن نعتبر (التصوف) امتداد للاتجاهات الروحية القديمة، وصدى للخبرات الدينية غير الإسلامية.

إن التصوف شمل جميع الحضارات العربية و الغربية منها، فهو موجود في سائر الديانات، فهو يكمن داخل النفس البشرية والصوفية الإسلامية، تتميز بميزات خاصة تميزها عن غيرها، ومن ثم فالتصوف ليس امتداد للاتجاهات الروحية القديمة، وإنما هو ثمرة في التأمل المستمر في القرآن والحديث.

وبدأ التصوف مع البواكير الأولى للحضارة العربية الإسلامية، هذا في الوقت الذي ظهرت فيه –عبر القرون-اتجاهات إسلامية ومذاهب ومشارب ومسارب، لا حصر لها، فبعضها ساد حينا من الدهر،ولمع بعضها لمعة ثم انطفأ،وأطل بعضها على استحياء وسرعان ما اختبأ (...)،بينما ظل التصوف،دوما تجليا للإنسانية الإسلامية في كل العصور.

ويمضي الزمان الإسلامي والصوفية يشقون كل يوم طريق إلى الله، ويبشرون أزمنتهم بأن الطرق إلى الله على عدد أنفاس البشر، فمن ثم يأبى من الوصول وبأن (التجليات

1- محمد علي كندي،في لغة القصيدة الصوفية ،ص44-46.

الإلهية لا تنقطع عن الكون) وبأن (لله قوم يحبهم ويحبونه)، إنما ثم انقطاع في الوصل".(1)

"ظهر التصوف مع البدايات الأولى للحضارة العربية الإسلامية، ومنه ظهرت عدة اتجاهات إسلامية، لكن سرعان ما اختفت، لكن ظل التصوف في كل العصور، ويبقى الصوفية يبشرون قومهم بأن لله قوم يحبهم ويحبونه، وبذلك لا ينقطع الوصل بين العبد وربه.(...).

وفي مرحلة تعزيز الحياة الصوفية ظهرت المؤلفات الكبرى التي وضعها"السراج" 988) و"الكلاباذي" (990)، و"القشيري" (1074) و"الهجويري" (1071)، وقد وصفت هذه المؤلفات تعاليم الصوفية وممارستهم، أي أنها تناولت الطريقة المعمقة في استخدام الفرائض الدينية والذكر،ومن ثم بعض النقاط الأخرى المثيرة للجدل كالسماع والموسيقى والرقص الصوفي، كذلك جرى تنظيم استقبال المدربين.

بلغت هذه التيارات ذروتها في كتاب"الغزالي""إحياء علوم الدين"،وفي الوقت نفسه ظهرت نظريات صوفية جديدة كالقول بالحب الصوفي، كذلك طبع الفارسي بأفكار صوفية وبصور عن حياة المتصوفة،وأشعار "سنائي"(1131) و"العطار(1220) و"جلال الدين الرومي"(1273)،الأساس الذي استقى منه متصوفة إيران والهند وتركيا،فيما بعد حفلت الآداب الصوفية بأجناس أدبية.

بعد رفض التصوف بشكله المبتذل، عاد المصلحون المسلمون والشعراء في العصر الحديث لاستلهام الأفكار والإيحاءات التي عبر عنها التصوف الإسلامي".[2]

1-يوسف زيدان، المتواليات-دراسة في التصوف،ط1،الدار المصرية اللبنانية، مصر، القاهرة،1998 م، ص7-8.

2- كلوس كريزر، فارنديم، هانس جورج ماير، معجم العالم الإسلامي، تر: ج كتورة، ط 2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1998م، ص 197-198.

3-أنواع الأدب الصوفي:

المناجاة التي وضعها"عبد الله الأنصاري"(1088)، والحكم كتلك التي وضعها "أحمد يوسفي" بتركيا و(حكم ابن عطاء الله) بالعربية،هذا إلى جانب الرسائل المتبادلة بين أعلام التصوف وسائر المريدين،ومع"ابن عربي"(1240)،بلغ التصوف أكمل مراحله انتظاما،وظل هذا النظام الموجه للتصوف في سائر المراحل اللاحقة".

أما "الحلاج" فقام بالبحث عن السلوك الصوفي، وظهرت لغة جديدة وبعد ذلك ظهرت مؤلفات كبرى على يد كبار الشعراء،التي تناولت استخدام الفرائض الدينية بطريقة معمقة،وبلغت هذه التيارات ذروتها مع "الغزالي" بحيث ظهرت نظريات صوفية جديدة،ولم تخلو أشعار الفارسي من الأفكار الصوفية وإعطاء صور من حياة المتصوفة،هكذا اكتسبت الآداب الصوفية أجناس أدبية جديدة،وأخيرا تمكن التصوف من بلوغ القمة.

بعد القرن الثاني عشر ظهرت الطرق الصوفية، التي يعود الفضل في نشر الإسلام في كثير من المناطق وقد خسر التصوف بطبع عمله الأول،وأصبح عبارة عن حركة جماهيرية يجد فيها المسلون كافة العناصر المؤثرة التي يفتقدونها في الإسلام الرسمي، كالموسيقى والشعر والرقص،إلا أن بعض النظريات الصوفية قد اكتسبت خطورة معينة كالاعتقاد بضرورة وجود الشيخ،وجعله قطبا أو وجود لا يستغنى عن وجوده.

كذلك لابد من الإشارة إلى إسهامات بعض المتصوفة الشعبين في تطوير اللغات الإسلامية غير التقليدية في "تركيا"و"السند"،حيث كان بعض المتصوفة أول من وضع آدابا وصفت الحياة اليومية كالكثير من الألوان الدينية كذلك أسهم المتصوفة في عقيدة تقديم الأنبياء وجعل هذه العقيدة شعبية.

وبعد القرن الرابع عشر توالت الردود على نمط التصوف الشعبي وظهرت طرق جديدة في أواسط"آسيا"، التي أخرجت بعد القرن السادس عشر أهم الشعراء الذين كتبوا بالفارسية والأردية.

يمكن تصنيف الأدب الصوفي إلى عدة أصناف من بينه:

أ-الأحزاب:

"مجموعة من الأذكار تضم مطالعها بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، موضوعة على نسق خاص، يقرأها المريد في أوقات معينة،والغاية منها تقوية المريد،وتحصينه بطاقة روحية تمنحه الطمأنينة واليقين،وتجعله في حصن من عوادي الزمن ومن مغبة الشعور بالفراغ"[1]

يمثل هذا النوع سلسلة من الأذكار الموجودة في القرآن الكريم، وفي السنة النبوية الشريفة، ينشدها المريد من أجل منحه الراحة، و الطمأنينة لتصدي محن الدنيا ونوائبها لسد الفراغ الذي يشعر به المريد.

ب-الأوراد: "هي أعمال العبادة الموظفة على الأوقات والأحوال، ولا تختلف الأوراد عن الأحزاب من حيث الصيغة والمضمون، بل الخلاف يكمن فقط في التوقيت الذي يقرأ فيه كل منهما مواقيت معلومة.

فالورد يكون في وقت معين من كل يوم مثلا بعد الصلاة، وهناك أوراد النهار وأوراد الليل.

[1]- نور الهدى الكتّاني، الأدب الصوفي في المغرب و الأندلس في عهد الموحدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1971م،ص23

أما الحزب فإنه يقرأ في كل وقت دونما تعيين، والورد يقرأ جماعة أو على انفراد، والحزب غالبا ما يقرأ جماعة، غير أن هناك بعض الأحزاب التي تقرأ على انفراد مثلا،عند الحاجة أو المرض.

والورد عبارة أيضا عن آيات وتحميدات لله، وصلوات وتسليمات على النبي وآله وأصحابه، يتخللها دعاء وتضرع، ويختم بالدعاء أو بالصلاة على النبي و بتلاوة آية من القرآن الكريم".[1]

الأوراد هي مجموعة من العبادات التي يؤديها المتصوف في أوقات معينة، وهي لا تختلف كثيرا عن الأحزاب، فالورود تكون في توقيت معين كأوراد النهار والليل، أما الأحزاب يمكن قراءتها في كل وقت بالإضافة إلى ذلك فإن الورد عبارة عن آيات من ذكر الله العزيز الحكيم، وتتخلله أدعية والصلاة على النبي محمد صلى الله عليه والسلم.

ج-التصليات والتوسلات والمولديات والربانيات والنجديات والزهديات والحكم:

فالأولى مزيج من المدح النبوي وتعداد لمعجزات الرسول(ص)،وهي تختلف عما يسمى عند الصوفية بالصلاة،مثلا الصلاة(المشيشية) وتكون نثرا.

أما التصليات: فتكون نظما،وغالبا ما ينهي الناظم قصيدته بلازمة يقول فيها: صلوا عليه وسلموا تسليما.

أما الثانية: فهي قصائد نظمها أصحابها يتوسلون بها إلى الله سبحانه وتعالى.

وهناك المولديات نسبة إلى مولد الرسول (ص)، والذي يعد حدثا بارزا في الإسلام تغنى به الشعراء.

ثم الحجازيات والنجديات والزهديات والربانيات وغيرها من الأنماط والأشكال الفنية، أي القصائد والمقطوعات والموشحات والمخمسات والمعشرات والعشرينيات.

1- نور الهدى الكتاني، الأدب الصوفي في المغرب و الأندلس في عهد الموحدين ، ص25.

أما الحكم هي نتيجة تجارب وخبرات كبيرة في الحياة،وقيمة الحكم تنبع من قيمة قائليها،ويندر أن نجد متصوفا كبيرا مربيا أو شيخا من شيوخ التصوف،لم ترو عنه طائفة من الحكم."[1]

4-قواعد التصوف:

أ-القاعدة الأولى: صفاء النفس ومحاسبتها:

"إن كل من أراد أن يدخل في سلك المقربين يعد الجواب لسؤال الحق تعالى، و ذلك أن يحاسب نفسه قبل أن يحاسبه الله ويزن أعماله قبل أن توزن بقسطاس الآخرة، ويصفى نفسه من شوائبها ووساوسها".[2]

من أراد بلوغ الدرجة العليا لابد أن يحاسب نفسه في كل أعماله،قبل أن يحاسبه الخالق،وأن يسعى جاهدا إلى تنقية نفسه من كل الشرور والأحقاد و الوساوس التي توسوس في صدره قبل وصوله إلى الله عز وجل.

ب-القاعدة الثانية: قصد وجه الله:

"معناها أن المتصوف لابد أن يقصد وجه ربه في جميع أقواله وأفعاله غاسلا قلبه بالإخلاص لوجه الله، لا مخافة المخلوقات وهيبة الرؤساء، فيصير بذلك لا يتكلم و لا يفعل إلا عن تثبت واطمئنان،وتصبح أعماله خالصة لا مخالطة فيها ولا رياء."[3]

على المتصوف أن يسعى إلى التقرب إلى الله عز وجل بأعماله وأفعاله، ولا يخشى أحد سواه.

ج-القاعدة الثالثة: التمسك بالفقر والافتقار:

1- نور الهدى الكتاني، الأدب الصوفي في المغرب و الأندلس في عهد الموحدين،،ص27

2- محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب في التراث الصوفي،مكتبة غريب للطباعة،القاهرة،(د.ت)،ص15.

3- المرجع السابق، ص15.

"معناها الزهد في الدنيا والقناعة في متاعها حرمانا للنفس، فإن التمسك بالفقر دليل التقشف الذي هو الآلة القاطعة لحبل الوصال بين العبد والشيطان، فتتأهل النفس بالعبادة الخالصة والمناجاة الصادقة وعدم العلو والفساد، والافتقار هو تجرد المرء من زينة الحياة لينقطع لتقوى الله بخشية وخشوع، مظهرا الافتقار إلى الله وأنه لا حول له ولا طول إلا به.

طالبا منه التكرم عليه بالإمدادات والتجليات، وذلك هو منتهى الإقرار بالعبودية التي هي مركز التصوف وعقيدة الإيمان، إلا إن الله هو العلي القدير الفعال لما يريد.

د-القاعدة الرابعة: توطين القلب على الرحمة والمحبة:

أي يجب على كل صوفي أن يلزم قلبه محبة المسلمين ورحمتهم ويعطيهم حق الإسلام في التعظيم والتوقير، فإن رسخ هذه القاعدة واستقام في التدرب عليها، أفاض الله عليه أنوار الرحمة وأذاقه حلاوة الرضى وألبسه ثوب القبول:فينال مما ورثه النبيون من المحبة والرضا حظا وفيرا".[1]

فالمتصوف هو الإنسان الذي يحرم نفسه، من كل متاع الدنيا،و التمسك بحبل الله والافتقار إليه،والعكوف على العبادة والانقطاع عن العمل مجاهدة النفس وتطهير الروح والقلب والرياضة الروحية.

هـ-التجمل بمكارم الأخلاق التي بعث الله بها النبي لتمامها:

"هي زيادة الدين وحقيقة أخلاق الصوفيين،ومعناها أن يكون العبد هينا لينا مع أهل بيته وعشيرته وجميع المسلمين".[2]

5-خصائص التصوف: من بين خصائص التصوف:

1- محمد عبد المنعم خفاجي،الأدب في التراث الصوفي،ص16.

2- المرجع السابق،ص18 .

-الإخلاص وطهارة القلب.

-الخشية من الله.

-الخشوع لله والتواضع للمخلوقات.

-حسن الخلق

-الزهد في الحياة.

-التوكل والرضا.

-الترقي: تهدف إلى تصفية النفس من أجل الوصول إلى تحقيق القيم الأخلاقية.

-الفناء في الحياة المطلقة.

-العرفان الذوقي المباشر.

-الطمأنينة أو السعادة: إن التصوف يهدف إلى قهر دواعي شهوات البدن أو ضبطها، وإحداث نوع من التوافق النفسي.

-الرمزية في التعبير.

6-مراتب التصوف: التصوف ثلاث درجات:

يمر المتصوف في حياته بعدة مراتب قبل أن يرتقي إلى المستوى الذي يرغب فيه، ومن بين هذه الخطوات التي يمر بها التعرض للألم والتصدي لنوائب الحياة وزينتها،أما المرتبة الثانية هي مكابدة الأهوال والعمل المضني في سبيل الوصول إلى الشيء المراد مهما كان الثمن.

أما الدرجة الثالثة، فهي مرحلة النهاية أي بلوغ المقصد، فهو مؤمن بالقضاء والقدر، وبذلك يصل إلى المرتبة السامية التي يرغب في الوصول إليها.

أ-المرتبة الأولى: هي درجة المريد الطالب، كما أنها أول خطوة في التصوف وصاحبها صاحب وقت مجد في العبادة لطلب مراده،ومقامه المجاهدات وتجرع المرارات،ولذا قيل أول التصوف علم.

ب- المرتبة الثانية: هي وسط التصوف وتسمى درجة المتوسط السالك ومنهلها صاحب حال وتلوين لانتقاله كل آونة من حال إلى حال، ومن درجة إلى درجة، وهو مطالب بآداب المنازل والزيادة في العبادة، ومقامه هو ركوب الأهوال في طلب المراد ومراعاة الصدق في الأحوال، واستعمال الأدب وفناء النفس في العبادات، وتلك أشق درجات التصوف فمن رسخ قدمه فيها فقد وصل حقيقة المقامات، وتلك الدرجة هي المعبر عنها بأن أوسط التصوف عمل.

ج- المرتبة الثالثة: هي درجة المنتهى وهي أعلى مراتب التصوف،ومقامها الصحو والإجابة للحق،وبلوغ درجة الكمال والمنع والعطاء،وصار من أهل القرب والمكاشفات.

7-أقسام التصوف الإسلامي:

ينقسم إلى قسمين:قسم يتعلق بالتربية وتهذيب الروح ونبل الخلق والتحلي بالفضائل،وهو ما اصطلح على تسميته بعلم المعاملة.

وقسم يتعلق بالرياضة الروحية والعبادة والمحبة، وما ينطوي من العبادة و المحبة من نور وإشراق وإلهام وفيض.

أ-القسم الأول:

مادة دسمة لرواد الأخلاق، ومادة دسمة لعالم النفس، بل إن الصوفية هم أساتذة علم النفس في العالم،فقد تعمقوا في أغوارها وأحاطوا بأهوائها ودوافعها ونوازعها،وتفننوا في ذلك حتى وصلوا إلى كشوف نفسية عالمية(...)،فقد اكتشفت الصوفية في نفوسهم شيئا أروع،اكتشفوا مركب الكمال،فتوصلوا به إلى السماء وإلى الإشراق والنور.

ب-القسم الثاني:

هو قسم العبادة والفيض والمحبة، وأول شروطه: معرفة الكتاب والسنة معرفة عليا، ويسمى هذا القسم بالطريق، وينقسم إلى أربع مراحل:

1-مرحلة العمل الظاهر:

أي مرحلة العبادة والإعراض عن الدنيا وزخرفها وزينتها،والزهد في شهواتها وأهوائها،والانفراد والعكوف على الذكر والاستغفار مع تأدية الفرائض والنوافل والتطوع.

2-مرحلة العمل الباطني أو المراقبة الداخلية:

تزكية الأخلاق، وتطهير القلب، وتصفية الروح ومحاربة النفس ومراقبتها والتجمل بالأخلاق الزكية والصفات النبيلة والشمائل المحمدية.

3-مرحلة الرياضة والمجاهدة:

التي يقول فيها الرسول صلى الله عليه وسلم:"رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر"،وبتلك المجاهدة العظمى يقوى سلطان الروح،وتتحلل النفس من الأدران الأرضية فتسمو وتزكو وتصفو صفاء ربانيا،حتى تنطبع فيها حقائق العالم وأسراره،ويتنزل في القلب نور إلهي ينكشف به جمال العالم وجلاله ودقائقه وأسراره،فيرق الحس وينتبه الشعور وتستيقظ الأحاسيس،فتكون حركة حياة كبرى في المشاعر عامة.

وتشعر تلك المشاعر بلذة عليا وعلوم نورانية تقوى في النفس حتى تكون صفة لازمة لها، ويتوالى الكشف للنفس،وتزاح عنها الحجب شيئا فشيئا حتى تصل إلى الرضا والأنوار العلى.

4-المرحلة الرابعة:

هي مرحلة الفناء الكامل، ووصول النفس إلى مرتبة شهود الحق بالحق، وانكشاف ووضوح في رؤية العوالم الخفية، والأسرار الربانية، وتوالي الأنوار والكشف، ثم اللذة الروحانية بالأنس، والسر الزكي في الخلوة والحضرة الإلهية.

يمكن تقسيم التصوف إلى قسمين: القسم الأول يرتبط ارتباطا وثيقا بالتربية، من حيث مكارم الأخلاق والتوغل إلى النفس البشرية،أما النوع الثاني يتصل بالنفس ومجاهدتها على العبادة السامية،وذلك بالاطلاع الواسع على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وهذا النوع ينقسم إلى عدة أطوار، فمرحلة العمل الظاهر تمثل في فترة عبادة الله والتخلي عن ملذات الحياة، وكثرة الاستغفار و النوافل.

أما الطور الثاني فيتمثل في مكارم الأخلاق وتصفية الفؤاد من كل الصعوبات التي يتعرض لها الإنسان في حياته.

ثم ينتقل إلى مرحلة أرقى وهي مرحلة الرياضة والمجاهدة، التي تكشف عن عالم رباني أعلى وأسمى حيث ينزاح الستار معلنة الكشف عن المستور.

أما في مرحلة الفناء الكامل، تبلغ النفس إلى أعلى المراتب، وبذلك تظهر الأسرار الربانية، التي تسمو فيها الروح إلى الخلوة الروحية في حضرة القدرة الإلهية، وفيها يصل المتصوف إلى درجة الخلود.

8-خصائص التصوف:

-شوق الروح للتطهر والزهد.

-التصوف يهدف إلى جمع أقوال وأعمال الصالحين والزهاد.

-المجاهدة النفسية والرياضة الروحية.

-التقييد بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

-تربية النفس والسمو بها بغية الوصول إلى معرفة الله تعالى.

-السمو الروحي.

-توظيف اللغة الرمزية الغامضة (المرأة،الخمر...).

-الطبيعة الصامتة والمتحركة.

-مدار التصوف زيادة في التعبد والسعي للتقشف.

نماذج من شعر التصوف:

قالت (رابعة العدوية) واصفة حبها للذات الإلهية:

أحبك حبين: حب الهوى ** وحبا لأنك أهل لذاكا

فأما الذي هو حب الهوى ** فشغلي بذكرك عمن سواكا

وأما الذي أنت أهل له ** فكشفك لي الحجب حتى أراك

فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ** ولكن لك الحمد في ذا وذاكا[1]

وقال (عمر بن الفارض):

أشاهد معنى حسنكم فيلذ لي ** خضوعي لديكم في الهوى وتذللي

وأشتاق للمعنى الذي أنتم به ** ولولاكم ما شاقني ذكر منزل

فلله كم من ليلة قد قطعتها ** بلذة عيش والرقيب بمعزل

ونقلي مدامي والحبيب منادمي ** وأقداح أفراح المحبة تنجلي

ونلت مرادي فوق ما كنت راجيا ** فوا طربا لو تم هذا ودام لي[2]

---

[1]-خديجة القماح، محمد علي أحمد،رابعة العدوية،ط2،نشر مكتب رحب،مصر،القاهرة،1983م،ص84.

[2]-عمر بن القارض، الديوان، شرح وتقديم، مهدي محمد ناصر الدين، ط 2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2005م، ص 395.

وخير ما أختم به قول الشاعر:

ترك التكلف في التصوف واجب ومن المحال تكلف الفقراء

**

ثم إذا أمتد الظلام رأيتهم يركعون تركع القراء

**

فإذا رأيت مخالفاً لفعالهم فأحكم عليه بمعظم الإغواء

**

قائمة المصادر والمراجع:

1-ابن منظور، لسان العرب، مادة زهد، دار صادر، بيروت، مج3، ج21، (د.ت).

2-ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط1، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ج1، 1992م.

3-أبو العتاهية، ديوان أبي العتاهية، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1986م.

4-أبي العتاهية، ديوان أبي العتاهية، ط4، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،2004م.

5-أبي الفرج الأصفهاني، الأغاني، شرحه وكتب حواشيه، سمير جابر، ط2، دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ج4، 1992م.

6-خديجة القماح، محمد علي أحمد، رابعة العدوية، ط2، نشر مكتب رحب، مصر،القاهرة،1983م.

7-شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، ط8،،دار المعارف، القاهرة،(د.ت).

8-عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة، بيروت، لبنان،1976 م.

9-عمر بن القارض، الديوان، شرح وتقديم، مهدي محمد ناصر الدين، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،2005م.

10-مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط2، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان،1984م.

11-محمد علي كندي، في لغة القصيدة الصوفية، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس،ليبيا،2010م.

12-مصطفى السيوفي، تاريخ الأدب في العصر العباسي.

13-مصطفى هدارة، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني، دار المعارف، مصر، القاهرة،1970م.

14-مصطفى محمد الشكمة، الشعر والشعراء في العصر العباسي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان،1973م.

15- كلوس كريزر، فارنديم، هانس جورج ماير، معجم العالم الإسلامي، تر، جكتورة، ط2،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت،لبنان،1998م

16-نور الهدى الكتاني، الأدب الصوفي في المغرب و الأندلس في عهد الموحدين،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1971م.

17-وكيع بن الجراح، كتاب الزهد، تحقيق عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ج1، (د ت).

18-يحي الشامي، أروع ما قيل في الزهد، ط1، دار الفضائل، دمشق، 2009م.

19-يوسف زيدان، المتواليات-دراسة في التصوف-، ط1، الدار المصرية اللبنانية، مصر،القاهرة،1998م.

المحاضرة السّابعة

(قصيدة المديح في الشّعر العربيّ القديم)

عناصر المحاضرة:

1) تمهيد.

2) في مفهوم المدح:

أ-لغة.

ب-اصطلاحا.

3) تطور فن المديح عبر العصور :

أ-المدح في العصر الجاهلي.

ب-المديح في صدر الإسلام.

ج-المديح في العهد الأموي.

د-المديح في العصر العباسي.

ه-المديح في العصر الأندلسي.

4) خصائص قصيدة المدح.

5) خاتمة.

تمهيد:

المديح من أكثر الفنون الأدبية شيوعا عبر العصور، نظم فيه مختلف الشعراء للتعبير عن مآثر الفرد أو الجماعة.

1-في مفهوم المدح:

أ-لغة:"جاء في القاموس لـ(الفيروز آبادي): "مدحه مدحا ومدحة: أحسن الثناء عليه(...) والمديح والأمدوحة ما يمدح به، جمعه: مدائح، وأماديح"[1]

ب-اصطلاحا:

"المديح هو حسن الثناء، لهذا لاقى المديح أرضا خصبة في كل الآداب خاصة، وإن الإنسان بطبيعته يميل إلى الثناء ويسقط ألفاظ المديح"[2]

ويذهب (ابن رشيق القيرواني): "بني الشعر على أربعة أركان وهي: المدح والهجاء والنسب والرثاء، وقالوا: قواعد الشعر أربع: الرغبة والرهبة والطرب والغضب، فمع الرغبة يكون المدح و الشكر، ومع الرهبة يكون الاعتذار والاستعطاف، ومع الطرب يكون الشوق ورقة النسب، ومع الغضب يكون الهجاء والتوعد والعتاب الموجع..."[3]

2-تطور فن المديح عبر العصور:

أ-المدح في العصر الجاهلي:

"نظم شعراء العرب في المديح منذ الجاهلية بدافع الإعجاب بالفضائل المتعارف عليها، فكان هم الشاعر أن يرفع من شأن قبيلته وأحلافها، والتغني بالكرم وحسن الضيافة والبطولة والشرف والعرض وصحة النسب.

1-الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح، محمد نعيم العرقسوسي، ط 8، مادة (مدح)، مؤسسة الرسالة، (د. ب)، 2005م، ص240.

2-موسوعة المبدعون المديح في الشعر العربي، إعداد سراج الدين محمد، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص6

3-أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، حققه وفضله وعلق حواشيه، محمد محي الدين عبد الحميد، ط 5، دار الجيل، بيروت، لبنان، ج 1، 1981م، ص120.

كان للشاعر في الجاهلية مكانة كبيرة لدى الملوك والعظماء، وكانت القبيلة تفتخر بولادة شاعر فيها يرفع من شأنها ويهاجم أعداءها.

تطور فن المديح في الجاهلية، وأصبح صناعة يبيعها الشعراء عند أعتاب الملوك والزعماء، وأدرك هؤلاء أثر الشعر في تحقيق أهدافهم، فقربوا الشعراء وأغدقوا عليهم المال، خاصة المناذرة والغساسنة،ففتحوا قصورهم للشعراء الذين تنافسوا في مدحهم واستطابوا ترف العيش"[1].

قال (قيس بن ذريح) في مدح (ابن أبي عتيق):

جزى الرحمان أفضل ما يجازي ** على الإحسان خيرا من صديق

فقد جربت إخواني جميعا ** فما ألفيت كابن أبي عتيق

سعى في جمع شملي بعد صدع ** ورأي حدت فيه عن الطريق

وأطفأ لوعة كانت بقلبي ** أغصتني حرارتها بريقي [2]

وقال الأعشى (ميمون بن قيس) يمدح (إياس بن قبيصة الطائي):

عرفت اليوم من نبأ مقاما، ** بجو، أو عرفت لها خياما

فهاجت شوق محزون طروب ** فأسبل دمعه فيها سجاما

ويوم الخرج من قرماء هاجت ** صباك حمامة تدعو حماما

وهل يشتاق مثلك من رسوم ** عفت، إلا الأياصر و الثماما

وقد قلت قتيلة، إذ رأتني، ** وقد لا تعدم الحسناء ذاما[3]

وقال (عنترة بن شداد بن قراد العبسي):

لقينا يوم صهباء سريه حناظلة لهم في الحرب نيه

1- موسوعة المبدعون المديح في الشعر العربي، إعداد سراج الدين محمد،ص27.

2-قيس بن ذريح، ديوان قيس لبنى، جمعه وحققه وشرحه، عفيف نايف حاطوم، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان،1989 م، ص85-86.

3-ديوان الأعشى،دار صادر، بيروت، لبنان،2008 م،ص190.

**

لقيناهم بأسياف حداد وأسد لا تفر من المنيه

**

وكان زعيمهم إذ ذاك ليثا هزيرا لا يبالي بالرزيه

**

فخلفناه وسط القاع ملقى وها أنا طالب قتل البقيه

**

ورحنا بالسيوف نسوق فيهم إلى ربوات معضلة خفيه [1]

**

وذهب (النابغة الذبياني) في مدح (النعمان بن المنذر) قائلا:

أمن ظلامة الدمن البوالي، بمرفض الحبي إلى وعال

**

فأمواه الدنا، فعويرضات دوارس بعد أحياء حلال

**

تأبد لا ترى إلا صوارا بمرقوم، عليه العهد، خال

**

شعاورها السواري والغوادي وما تدري الرياح من الرمال

**

أتيت نبته، جعد ثراه به عوذ المطافل والمتالي [2]

**

ب-المديح في صدر الإسلام:

"مع الإسلام طرأ تطور على شعر المديح،لأن الفضائل التي كان الجاهلي يتغنى بها،دخل عليها التعديل من وجهة النظر الإسلامية.

وبما أن القيم الإسلامية جاءت لتحل مكان القيم الجاهلية، فقد كانت بحاجة إلى ما يعززها، ويتغنى بها،فقام الشعراء بهذا الدور، يمدحون الرسول (ص) ويدافعون عن الإسلام.

مع الإسلام استمر المدح الذي يتغنى بالفضائل الثابتة،ودخلته تشعبات متنوعة تمدح الرسول صلى الله عليه وسلم وقادة الفتوحات،ودخلته معان جديدة كالعدل وإيتاء الزكاة والصلاة والحج والصوم والجهاد والتقوى، كدليل لارتباط الشعر عامة بالواقع.

1-ديوان عنترة،شرح ديوان عنترة،ط3،بيروت،لبنان،2003،م،ص239.

2-ديوان النابغة الذبياني،تحقيق وشرح، كرم البستاني،دار صادر،بيروت،لبنان،(د.ت)،ص96.

ومع انتشار الإسلام خفت صوت الشعر عموما،لأن الناس شغلوا بالدين الجديد عن الشعر،وشغلهم القرآن بفصاحته كما انشغلوا بالفتوحات.

نشير أن الإسلام، لم يحرم الشعر إلا ما كان منه يحرض على الموروثات الجاهلية، التي حرمها الوحي.وقد استمع الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الشعر، وخاصة الذي يعبر عن مثاليات الإسلام، وكان له شاعره الخاص حسان بن ثابت الذي دافع عن الإسلام"[1]

قال (كعب بن زهير) يمدح أمير المؤمنين (عليا بن أبي طالب):

هل حبل رملة قبل البين مبتور ** أم أنت بالحلم بعد الجهل معذور

ما يجمع الشوق إن دار بنا شحطت ** ومثلها في تداني الدار مهجور

نشفي بها وهي داء لو تصاقبنا ** كما أشتفى بعياد الخمر مخمور

ما روضة من رياض الحزن باكرها ** بالنبت مختلف الألوان ممطور[2]

وقال (أبي بكر الصديق) يوم حنين:

حين ولى الناس وانخذلوا ** هربا واحمرت الحدق

شد كالليث الهزير وقد ** عظم الأشجان والفلق

لم يخب إذ شد جمعهم ** وألقنا إذ ذاك تأتلق

وسيوف في أكفهم ** كحمام الموت تصطلق[3]

قال (حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام) في يوم بدر:

قتلنا سراة القوم عند رحالهم ** فلم يرجعوا إلا بقاصمة الظهر

قتلنا أبا جهل وعتبة بعده ** وشيبة أيضا عند نائرة الصبر

وكم قد قتلنا من كريم مرزإ ** له حسب في قومه نابه الذكر

1- موسوعة المبدعون المديح في الشعر العربي، إعداد سراج الدين محمد،ص18.

2-ديوان كعب بن زهير، تحقيق وشرح، محمد يوسف نجم،ط2،دار صادر،بيروت،لبنان،2002م،ص128.

3-ديوان أبي بكر الصديق،حققه وشرحه،راحي الأسمر،ط3،دار صادر،بيروت،لبنان،2007م،ص44.

تركناهم للخامعات تنوبهم ** ويصلون نارا ثم نائية القعر[1]

ج-المديح في العهد الأموي:

"اصطبغ المديح في العهد الأموي بالصيغة الحزبية السياسية، مع تحول العصبية القبلية إلى عصبية حزبية.

فلقد نشأت الأحزاب ولكل حزب شعراء انحازوا إليه.كان هناك حزب الأمويين وحزب الشيعة وحزب الخوارج وحزب الزبيريين.

انحاز كل شاعر إلى حزب معين يمدحه بأنه الأحق بالخلافة، ويهجو معارضيه.

شجع الخلفاء الأمويون الشعراء على المدح، وأغدقوا عليهم الأموال،حتى تهافت الشعراء على الخلفاء والولاة والقادة،وبالغوا في صفات الممدوح لدرجة كبيرة"[2]

قال (جرير بن عطية الخطفي) في مدح (عبد العزيز بن الوليد):

ذكرت ثرى نواظر والحزامى ** فكاد القلب يتصدع انصداعا

ألام على الصبابة، والمهارى ** تحن إذا تذكرت النزاعا

رأين تغيري فدعون منه، ** كذعر الفارس البقر الرتاعا

كأن الرحل فوق قرا جفول، ** أقام الماتحان له الشراعا

ذكرت، إذا نظرت إلى يديها ** يدي عسراء شمرت القناعا[3]

قال الفرزدق (همم بن غالب بن صعصعة) في مدح (آل المهلب):

لأمدحن بني المهلب مدحة ** غراء ظاهرة على الأشعار

مثل النجوم، أمامها قمر لها ** يجلو الدجى ويضيء ليل الساري

ورثوا الطعان عن المهلب والقرى ** وخلائقا كتدفق الأنهار

أما البنون، فإنهم لم يورثوا كتراثه لبنيه يوم فخار

1-ديوان حسان بن ثابت،حققه وعلق عليه،وليد عرفات،دار صادر،بيروت،لبنان،ج1، 2001م،ص145.

2- موسوعة المبدعون المديح في الشعر العربي، إعداد سراج الدين محمد،ص20.

3-ديوان جرير، ط1،دار صادر،بيروت،لبنان،1958م،ص289.

**

كل المكارم عن يديه تقسموا ** إذ مات رزق أرامل الأمصار[1]

د-المديح في العصر العباسي:

"انقسمت الدولة الإسلامية في العهد العباسي، وأصبح لكل خليفة وأمير حاشية من الشعراء يتنافسون في مدحه، وكان الترف شائعا في القصور،فعاش الشعراء في بذخ وتنقلوا بين العواصم يبيعون الشعر في أسواق المديح، فإن كان له رواج زادوا منه،وإن كسد قللوا منه.

في العصر العباسي غالى الشعراء كثيرا في معاني المدح، وزيفوا عواطفهم، نفرج شعرهم عن الحقيقة، وجاءت المدائح ذات نغمة واحدة تقريبا، فالممدوح دائما هو الإمام والكريم والفارس.

طرأ تغيير على الصور الشعرية، فأصبحت مركبة وإيحائية ومبتكرة، تعتمد في كثير من الأحيان على المقارنة بين الشخص الممدوح وأعدائه"[2]

قال (أبو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان الحمدوني) مخاطبا (القاضي أبا الحصين):

من بحر شعرك أغترف، ** وبفضل علمك أعترف

أنشدتني، فكأنما ** شققت عن در صدف

شعرا، إذا ما قسته ** بجميع أشعار السلف

قصرن، دون مداه، تق ** صيرا لحروف عن الألف[3]

وقال (البحتري) يمدح (أبا صالح عبد الله بن محمد بن بزداد):

يشوقك توخيد الجمال القناعس ** بأمثال غزلان الصريم الكوانس

ببيض أضاءت في الخدور كأنها ** نجوم دجى جلت سواد الحنادس

1-ديوان الفرزدق،ط1،دار صادر،بيروت،لبنان،2006م،ص183.

2- موسوعة المبدعون المديح في الشعر العربي،إعداد سراج الدين محمد،ص39.

3-ديوان أبي فراس،رواية أبي عبد الله الحسين بن خالويه،دار صادر،بيروت،لبنان،(د.ت)،ص190.

صددن بصحراء الأريك، وربما ** وصلن بأحناء الدخول فراكس

ظباء ثناها الشيب وحشا، وقد ترى ** لريغ الشباب وهي جد أوانس[1]

هـ-المديح في العصر الأندلسي:

"الشعر الأندلسي بمجمله شديد الشبه بالشعر العباسي، لا سيما في المديح الذي حافظ فيه الشعراء على الأسلوب المشرقي، فبدئوا القصائد بالغزل والخمر والطبيعة ثم بالمدح.

وجاءت مدائحهم محشوة بالتملق والاستجداء على طريقة العباسيين. انقسمت الأندلس إلى دويلات في عهد ملوك الطوائف، فانحاز كل شاعر إلى ملك أو أمير أو قائد وقف شعره عليه"[2]

قال (أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون) يمدح (ابن جهور) و يهنئه بالعيد:

مرادهم حيث السلاح خمائل، ** وموردهم حيث الدماء مناهل

ودون المنى فيهم جياد صوافن، ** ومأثورة بيض وسمر عوامل

لكل نجيد في النجاد،كأنما ** تناط، بمتن الرمح، منه الحمائل

طويل علينا ليله، من حفيظة ** كأن صبابات التقوس طوائل

كناس دنامنه الشرى، في محلة ** بها الليث يعدو، والغزال يغازل[3]

وقال (ابن سهل الأندلسي) في مدح الوزير (أبا عمرة يحي بن الجد):

أجذوة تشعل ** أم بنت دون تشر

هذبها الحسن ** فنارها لا تحرق

لله من بكر ** شابت ولم تنس الحفر

1-ديوان البحتري،شرح وتقديم حنا الفاخوري،دار الجيل،بيروت،لبنان،مج2،(د.ت)،ص5.

2- موسوعة المبدعون المديح في الشعر العربي،إعداد سراج الدين محمد،ص46.

3-ديوان ابن زيدون، شرح وتحقيق كرم البستاني، ط2، دار صادر، بيروت، لبنان،2007 م، ص153.

لها سنا الزهر وطيب أنفاس الزهر[1]

**

3-خصائص قصيدة المدح:

-استهلال معظم الشعراء قصائدهم بذكر الديار، والوقوف عليها.

-رسم الشاعر الجاهلي في ممدوحه المثالية الخلقية الرفيعة (الكرم، العفة، الشجاعة...)

-ترتبط قصيدة المديح ارتباطا وثيقا بالمجتمع.

-الثناء على الممدوح بغرض التكسب.

-الإشادة بالحسب والنسب.

-مزج المديح بالطابع السياسي.

-توظيف الأمثال والحكم.

-بيان محاسن وتعداد فضائل و مآثر الممدوح.

-تراوح أسلوبها بين الجزالة والسهولة، والقوة والليونة.

-توظيف الصور البيانية.

-أغلب الأوزان المستعملة في المديح (البسيط،الطويل،الوافر،الكامل...).

انطلاقا مما قيل،يمكن القول:

أن قصيدة المدح تطورت تطورا ملحوظا عبر العصور، إذ صور الشعراء البطولات المستمدة من البيئة الحضارية، من خلال وصف الطبيعة و الممدوحين (الخلفاء، الوزراء، القضاة..)في شجاعتهم وحسن سياستهم.

[1]-ديوان ابن سهل الأندلسي، قدم له عباس إحسان، دار صادر، بيروت، لبنان،1980م، ص304.

قائمة المصادر و المراجع:

1- أبي علي الحسين بن رشيق القيرواني الأزدي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، حققه وفصاه وعلق حواشيه، محمد محي الدين عبد الحميد، ط 5، دار الجيل، بيروت، لبنان، ج 1، 1998 م.

2- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ت: محمد نعيم العرقسوسي، ط 8، مادة (مدح)، مؤسسة الرسالة، (د.ب)، 2005م.

3- ديوان ابن سهل الأندلسي، قدم له عباس إحسان، دار صادر، بيروت، لبنان 1980م.

4- ديوان ابن زيدون، شرح وتحقيق كرم البستاني، ط 2، دار صادر، بيروت، لبنان، 2007م.

5-ديوان أبي بكر الصديق، حققه وشرحه، راحي الأسمر، ط 3،دار صادر، بيروت، لبنان، 2007م.

6-ديوان أبي فراس، رواية أبي عبد الله الحسين بن خالويه، دار صادر، بيروت، لبنان، (د.ت).

7- ديوان الأعشى، دار صادر، بيروت، لبنان، 2008م.

8- ديوان البحتري، شرح وتقديم حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، لبنان، مج 2، (د.ت).

9- ديوان جرير، ط 1، دار صادر، بيروت، لبنان، 1958م.

10- ديوان حسان بن ثابت، حققه وعلق عليه، وليد عرفات، دار صادر، بيروت، لبنان، ج 1، 2006م.

11- ديوان النابغة الذبياني، تحقيق وشرح، كرم البستاني، دار صادر، بيروت، لبنان، (د.ت).

12- ديوان عنترة، شرح ديوان عنترة، ط 3، دار صادر، بيروت، لبنان، 2003م.

13- ديوان الفرزدق، ط 1، دار صادر، بيروت، لبنان، 2006م.

14-ديوان كعب بن زهير، تحقيق وشرح، محمد يوسف نجم، ط 2، دار صادر، بيروت، لبنان، 2002م.

15- قيس بن ذريح، ديوان قيس لبنى، جمعه وحققه وشرحه، عفيف نايف حاطوم، ط 1، دار صادر، بيروت، لبنان، 1998م.

16- موسوعة المبدعون المديح في الشعر العربي، إعداد سراج الدين محمد، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، (د.ت).

المحاضرة الثّامنة

(رثاء المدن والممالك في الشّعر الأندلسيّ والمغربيّ)

عناصر المحاضرة:

1) تمهيد.
2) في مفهوم الرثاء:
   أ-لغة.
   ب-اصطلاحا.
3) رثاء المدن والممالك الزائلة.
4) خصائص رثاء المدن والممالك.
5) خاتمة.
6) قائمة المصادر والمراجع.

تمهيد:

تعتبر الأندلس من أجمل البلدان نظرا لما تتمتع به من مناظر طبيعة خلابة (الأنهار، الجبال، البساتين...)، وما زادها جمالا حضارتها الجديدة الوافدة الرقي والازدهار، ومدنها المزينة بالقصور والعمران الذي تتميز به كل مناطقها أمثال: (اشبيلية، غرناطة، المرية، قرطبة...) تفننت الأيدي الأندلسية في صنعها من حيث الأشكال، الألوان والزخرفة.

إلا أن هذه الحضارة العريقة انهارت في لمح البصر بسبب الفتن التي توالت عليها، فتهدمت القصور ومحت رسومها، خاصة بعدما سقطت على يد النصارى.

هذا ما أدى إلى ظهور لون شعري جديد يصور الخراب والدمار الذي حل بالأندلس، هو (رثاء المدن والممالك)،التي تثير الأشجان وتدمي القلوب.

1-في مفهوم الرثاء:

أ-لغة: جاء في تاج العروس للزبيدي:

"رثيت الميت رثيا، بالفتح، ورثاء، ورثاية، بكسرهما، ومرثاة ومرثية، مخففة وعلى الأخير اقتصر الجوهري، ورثوته أيضا إذا بكيته وعددت محاسنه.

وامرأة رثاءة ورثاية أي نواحة على بعلها أو كثيرة الرثاء لغيره، ممن يكرم عليها"[1]

وجاء في المعجم الوسيط:

"رثاه، رثوا، ورثاء: بكاه وعدد محاسنه، رثى الميت رثيا ورثاءا، ورثاية ومرثاة ومرثية: بكاه بعد موته وعدد محاسنه، ويقال رثاه بقصيدة، ورثاه بكلمة.

الرثاية: النواحة.

الرثية: الضعف و الفتور.

ترثاه: رثاه وفي الحديث " أنه أنهى عن الترثي":ندب الميت.

1- محمد مرتضي بن محمد الحسني الزبيدي،تاج العروس من جواهر القاموس،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان مج19،ج 37، 1971م،ص68.

المرثاة: ما يرثي به الميت من شعر وغيره"[1]

ب-اصطلاحا:

"الرثاء هو ذكر مناقب الميت ومآثره ومفاخره ووصف الحزن عليه والجزع لفقده، وبيان مكانته في قومه وأثره في مجتمعه الذي كان يعيش فيه"[2]

وللرثاء ألوان شتى منها: الندب، التأبين، العزاء.

2-رثاء المدن والممالك الزائلة:

من أكثر الفنون شهرة وذيوع وأصالة في الأندلس، ويعد لون من ألوان التأبين بالأهل والأحباب والملوك والوزراء، وهو البكاء على الماضي، والتعبير عن الأسى العميق على العظماء.

"الدارس لتاريخ الأدب الأندلسي منذ نشأته يرى أن بداية الشعر الأندلسي كانت امتدادا للشعر المشرقي من حيث الأحاسيس والمشاعر والأفكار و الأخيلية والتصورات، ومع الأيام بدأت ظواهر جديدة تسري في الشعر الأندلسي، متأثرة بالمكان والبيئة الجديدة، ولم يمض طويل وقت على هذا الشعر حتى وقف على قدميه وراح ينهج نهجا خاصا يعلن فيه استقلاليته عن الشعر المشرقي، فأصبح منافسا بعد أن كان مقلدا متبعا..."[3]

ومن بين الأغراض الشعرية التي أبدع فيها الأندلسيون، غرض (الرثاء) خاصة رثاء المدن والممالك بعد أن أخرجوهم النصارى من بلادهم متشردين، ورأوا ديارهم تتهاوى وتنتزع منهم الواحدة تلوى الأخرى، وأصبحت مدن الآباء والأجداد التي كانت حصنا للإسلام ومجدا للعروبة، وتصوير ما أصابهم من ذل وهوان،بعدما أصبحت ملكا للنصارى، وهذا ما دفع الشعراء إلى رثاءها معبرين عن الأسى العميق في زوال دولتهم، وهزيمة ملوكهم.

قال (ابن حمديس) في ندب أهله وبلده (صقيلية):

1-ابراهيم مصطفى وحامد عبد القادر، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، اسطنبول،ركيا، ج1، (د.ت)،ص329.

2-محمد عبد المنعم خفاجي،الحياة الأدبية في العصر الجاهلي،ط1،دار الجيل بيروت،لبنان،1992م،ص315.

3-شوقي ضيف،في النقد الأدبي،ط2،دار المعارف،مصر،القاهرة،(د.ت)،ص176.

أعاذل دعني أطلق العبرة التي ** عدمت لها من أجمل الصبر حابسا

فإني امرؤ آوي إلى الشجن الذي ** وجدت له في حبة القلب ناخسا

لقدرت أرضي أن تعود لقومها ** فساءت ظنوني ثم أصبحت يائسا[1]

وقال ابن خفاجة في رثاء مدينة(مرسية):

بجنة الأرض همت يا صاح ** ليس عنها الفؤاد بالصاحي

تلك محل النهور مرسية ** موطن أنسي ودار أفراحي

مرسي كم ناعم و كم جدل ** بين الرياحين فيك و الراح[2]

ويقول (ابن هارون) في رثاء (اشبيلية):

واستوطنوا القبر في الوادي وقام لهم ** جسر من الفلك لا تشكو به السأما

فكم أسارى غدت في القيد موثقة ** تشكو من الذل إقداما لها حطما

وكم صريع رضيع ظل مختطفا ** عن أمه فهو بالأمواج قد فطما[3]

في قضية المعتمد يقول (أبي بكر الداني):

والدهر في صفة الحرباء منغمس ** ألوان حالاته فيها إستحالات

ونحن من لعب الشطرنج في يده ** وطالما قمرت بالبيدق الشاة

1- ديوان ابن حمديس،صححه وقدم له،إحسان عباس،دار صادر للطباعة والنشر،بيروت،1960 م،ص274

2-محمد احمد دقالي، الحنين في الشعر الأندلسي (القرن السابع الهجري)،ط1، الناشر دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر بيروت، لبنان، 2008م، ص 268

3-ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، قسم الموحدين، تح محمد إبراهيم الكتابي و محمد زنيبر، و محمد بن تاويت و عبد القادر زمامة، ط1،دار الغرب الإسلامي، بيروت،لبنان، 1985م،ص381

أنفض يديك من الدنيا وزينتها ** فالأرض قد أقفرت والناس قد ماتوا[1]

ومن بين الذين برزوا في هذا السبيل نجد "أبو إسحاق الألبيري"، في قوله:

فلكم تضمن من تقي وتعفف ** وكريم أعراض وعرق طاهر

وأقر السلام عليه من ذي لوعة ** صدعته صدعا ما له من جابر

فعساه يسمح لي بوصل في الكرم ** متعاهدا لي بالخيال الزائر[2]

ويقول التطيلي :

بر ولا سقم عيش ولا هرم ** جد ولا حسب ورد ولا قرب

مليكة لا يوازي قدرها ملك ** كالشمس تصغر عن مقدارها الشهب

ولاك أبهج فخر تفخرين به ** إذا انتدى للفخار السادة النجب

قد عم برك أهل الأرض قاطبة ** فكيف أخرج عنه جارك الجنب[3]

"بالإضافة إلى كون الرثاء إطراء للميت وذكرا لصفاته الحميدة،وأخلاقه النبيلة،ومآثره الايجابية،هناك نفس تتوجع،وقلب يرتجف وعين تدمع،وفؤاد ينفطر وحسرة على هذا الذي مضى من حيث لا رجعة إلى هذه الحياة الدنيا".[4]

كقول (أبو إسحاق إبراهيم الإلبيري) في رثاء زوجته:

فلكم تضمن من تقى وتعفف ** وكريم أعراق وعرض طاهر

1- أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب،شرحه وضبطه وعلق عليه وقدم له،مريم قاسم طويل وآخرون،ط1،دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان،ج6، 1995م، ص 33

2-احسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1988م، ص 118-121.

3-محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تح، عباس عبد الستار،ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1982م، ص 18-19.

4-أبي هلال العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تح، علي محمد البجاوي وآخرون، المكتبة العصرية، بيروت لبنان،1986م،ص131.

واقر السلام عليه من ذي لوعة ** صدعته صدعا ما له من جابر

إن كان يدثر جسمه في رمسه ** فهواي فيه الدهر ليس بداثر[1]

ويقول "ابن زيدون" في رثاء(أم المعتضد):

نعلل فيها بالمنى، فتغرنا ** بوارق ليس الآل منها بأخدعا

أصبنا بما لو أن هضب متالع ** أصيب به لا نهد، أو لتضعضعا

منار، من الإيمان، لم يعد أن هوى، ** وجبل من التقوى، وهي، فتقطعا[2]

وقال شاعر:

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا ** إن السبيل إلى منجاتها قد درسا

وهب لها من عزيز النصر ما التمست ** فلم يزل منك عز النصر ملتمسا

وحاش مما تعانيه حشاشتها ** فطالما ذاقت البلوى صباح مسا[3]

ومن أكبر شعراء الأندلس قولا في الرثاء" ابن حمديس الصقلي"، فمن رثائه لوالدة قوله:

بدار اغتراب كأن الحياة ** لذكر الغريب بها ناسية

فمثلت في خلدي شخصه ** وقربت تربته القاصية

ونحت كثكلى على ماجد ** ولا معد لي سوى القافية[4]

قال "يحي بن الحكم الغزال " حكيم الأندلس وشاعرها:

ألما يبصروا ما خبرته الد هور من المدائن والقصور؟

1- ديوان أبي إسحاق الألبيري، تح، محمد رضوان الداية،ط1،دار الفكر المعاصر،سوريا،1991م،ص90-93.

2-ابن زيدون، ديوان ابن زيدون،شرح وتحقيق، كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1979م، ص 214.

3- أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب، شرحه وضبطه وعلق عليه وقدم له: مريم قاسم طويل وآخرون، ج 6، 1995م، ص 413-414.

4-ديوان ابن حمديس، صححه وقدم له: إحسان عباس ص522.

لعمر أبيهم لو أبصروهم ** لعمر أبيهم لو أبصروهم

ولا عرفوا العبيد من الموالي ** ولا عرفوا الإناث من الذكور

ولا من كان يلبس ثوب صوف ** من البدن المباشر للحرير[1]

يقول (ابن شهيد):

وصغار أبكار شكت ** خجلا فعاذت بالكمائم

ورد كما خجلت خدو ** د العين من لحظات هانم

وشقيق نعمان شكت ** صفحاته من لطم لاطم

وغصون أشجار حكت ** رقص المآتم للمآتم[2]

3-خصائص رثاء المدن والممالك:

*رثاء النفس والبكاء عليها.

*الحزن على تحول العمران والمباني،وخلوها من ساكنيها

*صدق العاطفة.

*عمق الشعور بالأسى والحزن والمرارة.

*تصوير ما أصاب الإسلام والمسلمين، من ذل وهوان.

*الحكمة الصادقة النابغة من التجارب المريرة.

*التماس التأسي في الدول والأمم الماضية.

*استنهاض همم المسلمين لمد يد العون.

*الاعتماد على التصوير لإبراز المعاني وبث الحركة فيها.

1- أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب،شرحه وضبطه وعلق عليه وقدم له،مريم قاسم طويل وآخرون، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج 3، 1994م، ص 23.

2-ابن الشهيد، أحمد بن عبد الملك، ديوان شعره ورسائله، شرح بطرس البستاني، ط2، دار صادر، بيروت، لبنان،1997م ، ص123-124.

*الإكثار من أسلوب الاستفهام.
*الأسلوب السهل والدقيق.
*غياب المقدمة الطللية والغزلية.
*إشراك الطبيعة في الحزن.
*الإكثار من القرآن الكريم والأمثال والشعر العربي القديم.
*التقديم وحسن الابتداء.
*ترتيب الموضوعات.
*حسن الخاتمة.

وفي الأخير يمكن القول أن الشعراء أبدعوا في تصوير الفاجعة الكبرى في مراثيهم (الكوارث) التي ألمت الأندلس، إذ كان مواكبًا لحركة الإيقاع السياسي راصدًا لأحداثه مستبطنًا دواخله ومقومًا لاتجاهاته بسبب الأحداث السياسية والانقلابات التي حدثت في البلاد، كما صوروا ما أصاب الممالك والمدن من محن،إثر الهزيمة القاسية والذل والعار، ومقارنة بين ماضي الإسلام في مجده وعزه، وحاضره في ذله وهوانه، إذ تحولت المساجد إلى كنائس وصوت النواقيس أضحى يجلجل بدلا من الأذان، والفتيات المسلمات انتهكت أعراضهن، ويعد رثاء المدن والممالك،من أوسع الفنون السياسية كما وكيفا في الأندلس،إذ برعوا في التعبير عن الملوك والمدن الزائلة.

قائمة المصادر والمراجع:

1- إبراهيم مصطفى وحامد عبد القادر،المعجم الوسيط،المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع اسطنبول، تركيا، ج 1، (د.ت).

2- ابن الشهيد، أحمد بن عبد الملك، ديوان شعره ورسائله، شرح بطرس البستاني، ط 2، دار صادر، بيروت، لبنان، 1997م.

3- ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين تح محمد إبراهيم الكتابي ومحمد زنيبر، ومحمد بن تاويت وعبد القادر زمامة، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1985م.

4- أبي هلال العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تح: علي محمد البجاوي وآخرون، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1986م.

5- أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب، شرحه وضبطه وعلق عليه وقدم له، مريم قاسم طويل وآخرون، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج 3، 1994م.

6- أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب، شرحه وضبطه وعلق عليه وقدم له، مريم قاسم طويل وآخرون، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج 6، 1995م.

7- إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1988م.

8- شوقي ضيف، في النقد الأدبي، ط 2، دار المعارف، مصر، القاهرة، (د.ت).

9- ديوان ابن حمديس، صححه وقدم له، إحسان عباس، دار صادر للطباعة والنشر بيروت، 1960م.

10 -ابن زيدون، ديوان ابن زيدون، شرح وتحقيق، كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1979م.

11-ديوان أبي إسحاق الأليبري، تح، محمد رضوان الداية، ط 1، دار الفكر المعاصر، سوريا، 1991م.

12- محمد احمد دقالي، الحنين في الشعر الأندلسي (القرن السابع الهجري)، ط 1، الناشر دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2008م.

13- محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تح، عباس عبد الستار، ط 1،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1982م.

14-محمد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، ط 1، دار الجيل بيروت، لبنان، 1992م.

15-محمد مرتضي بن محمد الحسني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، مج 19، ج 37، 1971م.

المحاضرة التّاسعة

(المدائح النّبويّة والمولديّات في الشّعر العربيّ)

عناصر المحاضرة:

1) تمهيد.
2) في مفهوم المديح النبوي:
   أ- لغة.
   ب-اصطلاحا.
3) ظهور المديح النبوي.
4) مصادر المديح النبوي.
5) المولديات.
6) بناء القصيدة المولدية.
7) خصائص القصيدة المولِيدية.
8) خاتمة.
9) قائمة المصادر والمراجع.

تمهيد:

المديح النبوي، هو الشعر الذي يعبر عن العواطف الدينية بمدح أعظم خلق الله وهو الرسول صلى الله عليه وسلم بتعداد مناقبه، وإظهار الشوق الرغبة لرؤية وجهه المنير، وزيارة الأماكن المقدسة التي زارها في حياته، ونظم سيرته شعراً والإشادة بغزواته وصفاته،لأنها عواطف لا تصدر إلا عن قلوب صادقة ومخلصة، والصلاة عليه تقديراً وتعظيما.

1-في مفهوم المديح النبوي:

أ-المديح لغة:

ورد في لسان العرب : "المدائح مصدر مشتق من مادة مدح بفتح الحروف الثلاثة، فيقال: مدحه،مدحا، ومدحة، بمعنى أحسن الثناء عليه، والجمع مدائح".[1]

ب-اصطلاحا:

عرفه (جميل حمداوي) بقوله: "ذلك الشعر الذي ينصب على مدح النبي صلى الله عليه وسلم بتعداد صفاته الخلقية وإظهار الشوق لرؤيته وزيارة قبره والأماكن المقدسة التي تربط بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم،مع ذكر معجزاته المادية والمعنوية".[2]

ويذهب (جبور عبد النور) على أنه: "تعداد لجميل المزايا، ووصف للشمائل الكريمة، وإظهار للتقدير العظيم الذي يكنه الشاعر لمن توافرت فيهم تلك المزايا..."[3]

2-ظهور المديح النبوي:

1-ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن كرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان،ج2، 1965م،ص507.

2-جميل حمداني، شعر المديح النبوي في الأدب العربي، ط1، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، لبنان،2007 م، ص1.

3-جبور عبد النور،المعجم الأدبي،ط2،دار العلم للملايين،بيروت،لبنان،1984م،ص245.

ظهر المديح مع مولد الرسول صلى الله عليه وسلم،ولكن هناك اختلاف آراء الباحثين حول نشأة المديح النبوي، فهناك فريق يرى أنه قديم ظهر مع الدعوة الإسلامية والفتوحات الإسلامية مع الصحابة وبعض شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى رأسهم شاعره (حسان بن ثابت)، بالإضافة إلى (كعب بن مالك،عبد الله بن رواحة)، ارتبط ارتباطا وثيقا بالشعر الصوفي خاصة مع (ابن الفارض) وغيره، وفريق آخر يرى أنه فن مستحدث بلغ صيته وازدهر وترك بصمات بارزة مع الشعراء المتأخرين في القرن السابع الهجري خاصة مع (البوصيري).

والمعروف أن العرب كانت تعيش حياة مضطربة ومشتتة متشعبة آراءهم مختلفة مذاهبهم،يحتمون تحت لواء القبائل المتناحرة، ولما جاءت دعوى الرسول صلى الله عليه وسلم إلى لم شملهم واتحادهم تحت دين واحد، هزت دعوته مختلف القبائل والملوك المجاورة، إذ انقسمت القبائل بين معارضة ومناصرة لتلك الدعوة الجديدة المنافية لأعرافهم المتوارثة.

ونتج عن ذلك احتدام الصراع بين الرسول صلى الله عليه وسلم والمشركين، وقد وظف الشعر كسلاح هدام للرد على كيد المشركين.

والجدير بالذكر، أن أول شعر نظم في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم هو الشعر الذي قاله عمه (عبد المطلب) عند ولادته، إذ شبه ولادته بالنور والإشراق الوهاج، الذي أنار الكون سعادة:

وأنت لما ولدت أشرقت الأرض ** وضاعت بنورك الأفق

فنحن في ذلك الضياء وفي ** النور وسبل الرشاد تخترق

وبعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى يثرب سرعان ما التف حوله معظم أهلها واعتنقوا الإسلام، هذا ما أدى إلى اشتعال لهيب المعركة، التي كانت حامية الوطيس بين المسلمين من جهة وقريش من جهة أخرى، وكان الشعر أشد الأسلحة،لذا استأذن بعض المسلمين من الرسول صلى الله عليه وسلم بالرد عليهم بنفس السلاح.

ورد عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم قائلا: "ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم؟".فقال حسان بن ثابت:"أنا لها"، ومنذ هذه اللحظة أصبح حسان شاعر الرسول الأول وأبرز المدافعين عن الإسلام ومناقضي خصومه"[1]

قال (حسان بن ثابت) يمدح الرسول صلى الله عليه وسلم:

وجبريل رسول الله فينا ** وروح القدس ليس له كفاء

وقال الله: قد أرسلت عبدا ** يقول الحق إن نفع البلاء

شهدت به فقوموا صدقوه ** فقالوا لا نقوم ولا نشاء[2]

ويقول أيضا:

وضم الإله اسم النبي إلى اسمه ** إذا قال في الخمس المؤذن أشهد

وشق له من اسمه ليجلله ** فذة العرش محمود وهذا محمد

بني أتانا بعد يأس وفترة ** من الرسل والأوثان في الأرض تعبد

فأمسى سراجا مستنيرا وهاديا ** يلوح كما لاح الصقيل المهند

كما مدح (كعب بن زهير) الرسول صلى الله عليه وسلم بعد هدر دمه، بقصيدته المشهورة التي تداولت عبر العصور ألا وهي قصيدته اللامية أو البردة النبوية:

أنبت أن رسول الله أوعدني ** والعفو عند رسول الله مأمول

مهلا هداك الذي أعطاك نافلة ** القرآن وفيها مواعظ وتفصيل[3]

ويقول (أبو تمام) واصفا الرسول صلى الله عليه وسلم:

اسكت فأين ضياؤه وبهاؤه ** وكماله وذكاؤه وحياؤه

---

[1]-محمود علي المكي،المدائح النبوية،ط1،الشركة المصرية العالمية للنشر،لونجمان،مصر،القاهرة،1991م،ص10.

2-ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، تح: عبد أعلي مهنا، ط 2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1994م، ص 20.

3-ديوان كعب بن زهير، تح: علي قاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1997م، ص 65.

لا تغن أسماء الملاحة والحجى ** فيمن سواه فإنها أسماؤه

عري المحب من الضنى فقميصه ** طول التأوه والسقام رداؤه[1]

وقد تطور شعر المدائح النبوية، كسائر الأنماط الأدبية الأخرى، عبر مختلف العصور، وقد تفنن الغراء في أسلوب وشكل ومضمون المدائح النبوية.

3- مصادر المديح النبوي:

يستوحي مادته من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وكتب التفسير التي تحدثت عن مسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم منذ ولادته، ككتاب السيرة النبوية لابن هاشم، وسيرة ابن إسحاق (...).

4-المولديات:

"كان معظم الشعراء يغتنمون الفرصة للإنشاد احتفالا بالمولد النبوي الشريف في الثاني عشر من ربيع الأول كل عام، و الذي غدا عيدا ثالثا أضيف إلى عيد الفطر وعيد الأضحى ثم فاقهما لدى الأندلسيين الذين كانوا يجتمعون فيه بالمسجد والأماكن العامة والخاصة، وقصور الملوك لتلاوة القرآن الكريم وقراءة السيرة النبوية الشريفة، وإنشاد قصائد المديح النبوي،ثم يختمون كل قصيدة نبوية بمديح للملك الذي قيلا تحت رعايته"[2]

5-بناء القصيدة المولدية:

يستفتحون القصيدة النبوية بمقدمة تتنوع حسب الغرض والمناسبة، وفي معظم الأحيان تكون غزلية،ثم وصف المطية ورحال الأماكن التي تذهب لزيارة مقام النبي صلى الله عليه وسلم وبعدها ينتقل إلى وصف الأماكن المقدسة، ثم مدح النبي صلى الله عليه وسلم طالبين منه الشفاعة يوم القيامة وتنتهي القصيدة بالدعاء والصلاة على خير العباد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

1-ديوان أبي تمام، تقديم وشرح: محي الدين صبحي، ط 2، دار صادر، بيروت، لبنان، 2007م، ص 401.

2-لسان الدين ابن الخطيب، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تح، أحمد مختار العبادي، القاهرة، 1968م، ص 175-176.

6-خصائص القصيدة المولیدية:

*ينطلق من رؤية إسلامية، قصد تغيير رؤي العالم المعاش.

*أبعادها روحانية ووجدانية.

*صدق المشاعر ورقة الوجدان وحب الرسول صلى الله عليه وسلم.

*الشوق لزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم والأماكن المقدسة.

*تستند إلى القصيدة العمودية، القائمة على نظام الشطرين.

*تعدد الأغراض الشعرية.

*تتكون القصيدة النبوية،من المقدمة الغزلية ووصف المطية ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم.

*ظهور التصريع بكثرة.

*الاعتماد على البحور الطويلة (الطويل، الكامل،الخفيف،الوافر،البسيط).

*يعتمد شعر المديح النبوي على الصور الشعرية.

*يمتاز المعجم الشعري،بالجزالة وقوة السبك ورصانة الصياغة.

وفي الأخير نقول أن المديح النبوي في شعر المولديات اتسم بالحب العظيم للرسول صلى الله عليه وسلم وبالعاطفة القوية، لأن الشعراء لم يهدفوا من مديحهم التكسب،وإنما لينالوا رضاه وشفاعته يوم القيامة والتشييد بالرسول الكريم باعتباره سيد الكون والمخلوقات، وهو كائن نوراني في أخلاقه.

قائمة المصادر والمراجع:

1-ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن كرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ج 2، 1965م.

2- جبور عبد النور، المعجم الأدبي،ط 2، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1984م.

3-جميل حمداني، شعر المديح النبوي في الأدب العربي، ط 1، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 2007م.

4- ديوان أبي تمام، تقديم وشرح، محي الدين صبحي، ط 2، دار صادر، بيروت، لبنان، 2007م.

5- ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، تح: عبد أعلي مهنا، ط 2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1994م.

6- ديوان كعب بن زهير، تح: علي قاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1997م.

7- لسان الدين ابن الخطيب، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تح: أحمد مختار العبادي، القاهرة، 1968م.

8-محمودعلي المكي، المدائح النبوية، ط 1، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، مصر، القاهرة، 1991م.

المحاضرة العاشرة

(شعر المعارضات بين المشرق والمغرب)

عناصر المحاضرة:

تمهيد

أولا: في مفهوم المعارضة:

أ-لغة.

ب-اصطلاحا.

ثانيا: تطور شعر النقائض:

1-النقائض في العصر الجاهلي.

1-2-موضوعات النقائض في العصر الجاهلي.

2-النقائض في العصر الإسلامي.

2-1-خصائص شعر النقائض في عصر صدر الإسلام.

3-النقائض في العصر الأموي.

ثالثا: أسباب نشأة شعر النقائض.

رابعا: خصائص شعر النقائض.

خامسا: نماذج من الأغراض الشعرية(الفرزدق وجرير).

قائمة المصادر والمراجع.

تمهيد:

فن النقائض امتداد لشعر الهجاء في العصر الجاهلي وصدر الإسلام، وقد تطور تطورا ملحوظا في العصر الأموي، نتيجة الصراع القبلي والحزبي بين الأطراف المتنازعة إذ يتخذوه الشعراء للرد على الخصم وينقضون ما فيها من مدح ويحولونه إلى ذم وهجاء، ويشرع كل شاعر في إبراز عيوب قوم خصمه وما تمخض عنها من نوازع في قصيدة على وزن وقافية وبحر واحد متضادتين، والنقائض بحد ذاتها،تعبيرا عن نمو العقل العربي، وقدرته الفذة على الحوار والجدل والمناظرة.

أولا: في مفهوم المعارضة:

أ-لغة: جاء في لسان العرب: النقض في اللغة: "هدم ما أبرمت من عقد أو بناء. ونقض

البناء: هدمه. وناقضه في الشيء: خالفه والمناقضة في القول: أن يتكلم بما يتناقض معناه و النقيضة في الشعر: ما ينقض به،و كذلك المناقضة في الشعر أن ينقض الشاعر الآخر ما قاله الأول"[1]

والنقائض"مأخوذة في الأصل من :نقض البناء إذا هدمه والحبل إذا حله،وضده الإبرام يكون للبناء والحبل والعهد"[2]

ب-النقائض اصطلاحا:

"هي أن يتجه شاعر إلى آخر بقصيده هاجيا أو مفتخرا فيعمد الآخر إلى الرد عليه هاجيا أو مفتخرا ملتزما البحر والقافية والروي الذي اختاره الأول"[3]

1-ابن منظور، محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، مادة (نقض)، دار صادر، بيروت، لبنان، ج 7، (د.ت)، ص 242-243

2-الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ط 3، الهيئة المصرية العام للكتاب، مصر، القاهرة، ج02، 1301هـ، ص 455.

3-احمد محمد الخوف، أدب السياسة في العصر الأموي، ط 1، دار مكتبة نهضة مصر بالفجالة، القاهرة، 1960، ص 228-229"

"تعد النقائض غرضا من أغراض الشعر العربي، والأصل فيه أن يتجه شاعر إلى آخر بقصيدة يفتخر فيها بمآثره ويهجوه، فيرد الشاعر الآخر عليه مهاجيا أو مفتخرا، شرط أن يلتزم بالبحر والقافية والروي الذي اختاره الشاعر الأول، وهذا يستلزم وحدة الموضوع نفخرا أو هجاء، أو سياسة أو رثاء أو نسيبا أو جملة من هذه الفنون إذا كان الموضوع هو مجال المناقشة، ومادة النقائض، أما المعاني بصفة عامة، فالأصل فيها المقابلة والاختلاف، لأن الشاعر الثاني هدفه هو إفساد معاني الشاعر الأول"[1]

ثانيا: تطور شعر النقائض:

"يصعب أن يحدد تاريخا دقيقا لظهور مصطلح النقائض في المجتمع الإنساني، ومع ذلك فإنه موجود منذ الأزل، مذ أدرك الإنسان ذاتيته، وتميز عن الآخر، فظهر مصطلح الأنا والإحساس، لتعرف السخرية بذلك تطورا ملحوظا خاصة مع تشكل الجماعات البشرية، وظهور مصطلحات القهر السياسي والتسلط، فضلا عن رسومات (كاريكاتورية) خلفها الإنسان القديم على جدران الأهرامات المصرية، وكذا في أرجاء المعابد القديمة، ولعل التطور الحقيقي الذي شهده مصطلح السخرية كان ارتباطه بالفلسفة اليونانية، إذ اتخذه سقراط في دفاعه عن مفهومي الحقيقة والعدالة أساسا لحواراته الفلسفية، وقد ادعوا المعرفة بحقيقة الأشياء، فكان عمله قائما على تقنية ما يمكنه بالضرورة من الإيقاع بخصمه، وتكون السخرية بهذا مرادفة للحكمة والدهاء"[2]

1-النقائض في العصر الجاهلي:

نشأ فن النقائض بداية في العصر الجاهلي، وكان يعتمد على مجموعة من المقومات ظهور النقائض، فصار الشعراء يكثرون من ذكر القتلى والفخر بالانتصارات والأحساب والأنساب.

1-2-موضوعات النقائض في العصر الجاهلي:

1-أحمد الشايب، تاريخ النقائض في الشعر العربي، ط 2، مكتبة النهضة المصرية، مصر، القاهرة، 1954م، ص 70.

2- العمري محمد، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2005م،ص93.

- كانت تدور حول الزعامة والطمع أو مرعى أو مورد.
- كان قبليا جاهليا.
-تدور حول الأحساب والأيام والأنساب.
-الكفر والضلال.
-الافتخار بالشعر وبعث الرهبة.

2-النقائض في العصر الإسلامي:

نقل الإسلام العرب نقلة نوعية، إذ كانت مغايرة للرسوم الجاهلية، إذ حلت محل العصبية القبلية رابطة قومية، بعدما حارب الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الحمية الجاهلية،وأخذ الدين الإسلامي ينتشر في بلاد العرب،هذا ما أدى إلى تضاؤل الديانات الأخرى (المجوسية، الوثنية، اليهودية، المسيحية)، حتى صار العرب باسم الإسلام أمة ودولة موحدة.

هذه الدعوة الجديدة،أصبحت تثير عواطف متناقضة بين دعاة الدين الجديد، وأنصار الباطل القديم، أو بين المحافظين على أصول البداوة الجاهلية، والمجددين بالأصول الإسلامية الفاضلة،فانقسمت القبائل إلى حزبين كبيرين: قسم مع الرسول صلى الله عليه وسلم والآخر ضده، وهذه النقائض امتداد للنقائض الجاهلية، وكان يهجو الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاثة رهط من شعراء قريش هم: (عمرو بن العاص، عبد الله بن الزبعرى، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد الله) وكان يرد على هجائهم ثلاثة من شعراء الأنصار هم (حسان بن ثابت، كعب بن مالك، عبد الله بن رواحة).

2-1-خصائص شعر النقائض في عصر صدر الإسلام:

-من حيث الموضوع: دار موضوع النقائض حول نشر الدين الإسلامي الحنيف، وتكوين دولة وأمة واحدة،تهدي إلى الصراط المستقيم.

-من حيث المعاني: طغت المعاني الدينية.

-من حيث الأسلوب: كانت أساليب النقائض غير مستوية، تمزج بين العبارات الضعيفة المهلهلة،والجزلة القوية،بسبب ارتجال الشعر أمام الأحداث الطارئة،وكذا انصرافهم عن قول الشعر،والتزامهم بآداب إسلامية تقيد حرية القول.

-الاعتماد على القرآن الكريم في نقض دعاوي خصومه حول التشكيك في مسائل شتى (البعث – الرسالة - الألوهية...) بالأدلة والحجج الدامغة.

-كثرت النقائض بسبب الغزاوات كغزوة (بدر – أحد – الفتح - الخندق...)، وكانت سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ومغازيه أهم هذه النقائض.

-التكذيب أو تنازع المآثر، أي كل شاعر يدعي لنفسه أو لقومه مأثرة بعينها ويدفع عنها زميله.

3-النقائض في العصر الأموي:

"إن أول ظهور لمصطلح (النقض) كان في العصر الأموي، وتحديدا فيما عرف بالنقائض، وهي تلك المعارك الشعرية التي دارت رحاها بين عدد من الشعراء في العصر الأموي، وكان فرسانها الأخطل وجرير والفرزدق، حيث يكتب الشاعر قصيدة في هجاء خصمه، فيرد الخصم ناقضا هذه القصيدة مع التقيد بوزنها وقافيتها، و قد تركزت النقائض في العصر الأموي على غرض الهجاء تحديدا، حيث كان الشاعر لا يصبر على هجاء خصمه، فيجيبه بقصيدة أخرى أكثر إقذاعا وإفحاشا،وقد كان الشاعر يتجه نحو خصمه بقصيدة هاجيا، فيعمد الآخر إلى الرد عليه بشعر مثله هاجيا ملتزما البحر والقافية والروي الذي اختاره الشاعر الأول "[1]

"إن النقائض تطوير لفن الهجاء، ويؤكد عدم وجود علاقة بين الهجاء وفن النقائض في العصر الأموي، حيث أصبحت النقائض شيئا يراد به اللهو لا الجد، بين الهجاء وفن النقائض كما كان في الشأن قديما، ولم يكن الشاعر في العصر الجاهلي يهجو ليضحك، ولم

1- مهدي محمد ناصر الدين،ديوان الأخطل، ص85.

يكن يهجو أمام خصومه مباشرة، ولم يحترف الهجاء كما في عصر بني أمية، وقد كانت صورا بسيطة في الأكثر"[1]

"كان للعصبية التي أحياها رجال هذه الدولة أثر كبير في شيوع الشعر، فإن القبيلة عادت تحتاج إلى شاعر يزود عنها، ويذيع محامدها، ويرد على مناوئها، كما كانوا يجعلون شاعرهم رسولهم إلى الخليفة، أما الخليفة فكان يعمد إلى شاعر القبيلة فيجزل عطاءه ليجمع قلوب القبيلة حوله ويجعلهم عونه وليس يخفي أن الشعر في هذا العصر هو مرآة الأمة بسبب ووصف الخمر، والفحش في الهجاء"[2]

إذ"كانت النقائض في العصر الأموي استمرارا للهجاء القبلي في الجاهلية، وكان يبعثها عادة خلاف بين قبيلتين أو أسرتين فينصر شاعر لقومه أو لأحلاف قومه، فيرد عليه شاعر من هؤلاء، فيعود الأول للرد عليه، ثم يلحم الهجاء، ولقد أذكى هذه النزعة في الشعراء قيام الأحزاب، وتقرب هؤلاء الشعراء إلى الخلفاء والأمراء بهجاء خصومهم تكسبا للمال"[3]

ولقد تضافرت جملة من الأسباب التي أدت إلى بروز شعر النقائض في العصر الأموي،من بينها:

-نشوب العصبيات في عصر بني أمية، هيأ الهجاء لنمو فن جديد، هو فن النقائض.

-انفصال السياسة عن الدين.

-سيطرت المقاييس السياسية على ملوك بني أمية، همهم إخضاع الرعية لسلطانهم، منتهجين في سياستهم مسلك الترهيب والترغيب.

-اتخذ الحكام المال وأغدقوه على الخصوم والأنصار، لتثبيت عرشهم.

-عدم التقيد بقوانين الشريعة.

1-ضيف شوقي، التطور والتجديد في الشعر الأموي،ط8، دار المعارف، القاهرة، 1987م،ص 163-164

2- محمود مصطفي، الأدب العربي وتاريخه في عصري صدر الإسلام والدولة الأموية، ط 2، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده مصر، القاهرة، ج 01، 1937م، ص 268-269.

3-عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي القديم، ط 1، دار صادر، بيروت، لبنان، ج 01، 1965م، ص 361-363.

-ظهور طائفة من الشعراء أيدوا الحكام رغبة في العطاء أو رهبة من العقاب، كجرير والفرزدق.

-ثالثا: أسباب نشأة شعر النقائض:

-ظهور المنافسة الأدبية بين الشعراء في العصر الأموي.

-بروز العصبيات القبلية من جديد بعد خمودها في العصر الإسلامي.

-كثرة الصراعات السياسية في العصر الأموي.

رابعا: خصائص شعر النقائض:

-الاقتباس من القرآن الكريم.

-الخيال الخصب.

-تكرير وترديد المعاني والأيام والأحداث.

-قوة الجدل.

-العناية بالاحتجاج والتأكيد بوجهة النظر.

-التعرض للعيوب الخلقية والنفسية للمهجو (الجبن،الغدر والزنا...).

-صورت النقائض النزاع السياسي على الخلافة بين الأمويين.

-تطرقوا إلى ظاهرة اتساع الفتوحات الإسلامية.

-التشييد بقيمة وعظمة العرب القومية (الكرم، الشجاعة والحروب التي انتصروا فيها، والعهود التي وفوا بها والدفاع عن الأعراض...).

-متانة التراكيب (المزج بين المعاني القديمة والحديثة).

-التقليد في هيكل وهندسة القصيدة التقليدية.

-المحافظة على جزالة الألفاظ.

-كثرة الأغراض الشعرية وتنوعها.

خامسا: نماذج من الأغراض الشعرية (الفرزدق وجرير):

كانت الأغراض الشعرية مجاراة للقدامى، والنسج على منوالهم، وقد تأثرت بألوان الحضارة الجديدة، والترف وتكونت على أساس البيئة والظروف السياسية السائدة، وهذا ما ساعد في تعدد مشارب وتنوع اتجاهات الشعراء، ومن أبرز النقائض تلك الحرب التي دامت (خمسا وأربعين عاما) بين (الفرزدق) و(جرير).

أ-غرض الهجاء:

يقول (الفرزدق) في نقيضةٍ يهجو بها (الأخطل التغلبي):

قَبَحَ الإلَهُ وُجُوهَ تَغْلِبَ كُلَّمَا ** حج الحجيج وكبروا إهلالا

عَبَدُوا الصَّلِيبَ وكَذَّبُوا بِمُحمَّدٍ ** وبِجِبرِيلَ وكَذَّبُوا مِيكَالا

وَلَو أَنّ تَغْلِبَ جَمَّعَتْ أَنْسَابَهَا ** يَومَ التّقَاضُلِ لَمْ تَزِنْ مِثْقَالا[1]

فردّ عليه (الأخطل التغلبي) بنقيضة يقول فيها:

وتَغوَّلَتْ لِتَرُوعَنَا جِنّيَّة ** والغَانِيَاتُ يُرِينَك الأَهْوَالا

أبَنِي كُلَيبٍ إن عَمّيَّ للَّذا ** قَتَلا المُلوكَ وفَكَّكَا الأَغْلالا

وأَخُوهُما السّفَاحُ ظَمّأَ خَيْلَهُ ** حَتَّى وَرَدْنَ جِبَى الكِلابِ نِهَالا[2]

وله نقيضة يهجو فيها جريرا يقول فيها:

إنَّ الّذِي سَمَكَ السَّماءَ بَنَى لَنَا ** بَيتاً دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وأَطوَلُ

بَيتاً بَنَاه لَنَا المَلِيكُ ومَا بَنَى ** حَكَمُ السَّمَاءِ فَإنَّهُ لا يُنْقَلُ

يَحْمِي إذَا اخْتُرِطَ السُّيوفُ نِسَاءَنا ** ضَرْبٌ تَخِرُّ لَه السَّواعِدُ أَرْعَلُ[3]

1- أبو تمام، نقائض جرير والأخطل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1922م،ص 83.

2- المصدر السابق،ص70.

3- حسين عطوان، نصوص من الأدب الأموي، ط1،دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن،2005م، ص 164.

فردّ عليه (جرير) بنقيضة أخرى من الشعر في الموضوع نفسه والوزن والقافية مطلعها:

لِمَنِ الدِّيارُ كَأنَّها لَمْ تُحْلَلِ ** بَينَ الكَنَائِسِ وبينَ طَلَحِ الأَعْزَلِ

إنَّ الّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا ** بيْتاً عَلاكَ فَما لَهُ مِن مُنقَلِ

أعْدَدتُ لِلشّعراءِ سُمّاً ناقِعاً ** فَسَقيْتُ آخِرهُم بِكَأسِ الأَوَّلِ

لَمّا وضعْتُ على الفرزدق ميسمي ** وضغا البعيث جدعت أنف الأخطل[1]

وقال (الفرزدق) أيضا:

أمكتفل بالرقم إذ أنت واقف ** أتانك، أم ماذا تريد لتصنعا؟

رأيتك تغشى كاذتينها ولم تكن ** لتركب إلا ذا السحوج الموقعا

دعت يا عبيد بن الحرام ألا ترى ** مكان الذي أخزى أباك وجدعا[2]

فأجابه (جرير) فقال:

ضعا قردكم لما اختطفت فؤاده ** ولابن وثيل كان خدك أضرعا

وما عز أولاد القيون مجاشعا ** بذي صولة يحمي العرين الممنعا

ويا ليت شعري ما تقول مجاشع ** ولم تترك كفاك في القوس منزعا[3]

ب-غرض المدح:

يقول (الأخطل) في قصيدته التي مدح فيها (عبد الملك بن مروان) هاجيا عشيرة (جرير) المكناة (بني كليب بن يربوع) مفضلا عشيرته (بني دارم):

---

1 - حسين عطوان، نصوص من الأدب الأموي،ص70.

2- أبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري، نقائض جرير والفرزدق، وضع حواشيه، خليل عمران المنصور، ط 1، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، لبنان، 1998م، ص 198.

3- أبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري، نقائض جرير والفرزدق، وضع حواشيه، خليل عمران المنصور، ص 200-201.

أما (كليب بن يربوع) فليس لهم ** عند التفارط إيراد ولا صدر
مخلفون، ويقضي الناس أمرهم ** وهم بغيب وفي عمياء ما شعروا
ملطمون باعقار الحياض فما، ** ينفك من (دارمي) فيهم اثر[1]

فيرد عليه (جرير) بقوله :

أرجو لتغلب إذ غبت أمورهم ** ألا يبارك في الأمر الذي ائتمروا
خابت بنو تغلب إذ ضل فارطهم ** حوض المكارم، إن المجد مبتدر
الظاعنون على العمياء إن ظعنوا ** والسائلون بظهر الغيب ما: الخبر[2]

وقال (جرير):

إذا ذكرت زيدا ترقرق دمعها ** بمطرفة العينين شوساء طامح
تبكي على زيد، ولم تر مثله ** صحيحا من الحمى شديد الجوانح
أعزيك عما تعلمين وقد أرى ** بعينيك من زيد قذى غير بارح

فأجابه (الفرزدق):

إذا ما العذارى قلن:عم، فليتني ** إذا كان لي اسما كنت تحت الصفائح
دنون وأذناهن لي أن رأيتني ** أخذت العصا وأبيض لون المسائح
فقد جعل المفروك، لا نام ليله ** بحب حديثي والغيور المشائح
وقد كنت مما أعرف الوحي ماله ** رسول سوى طرف من العين لامح[3]

ج-غرض الرثاء: قال (جرير):

1-هدي محمد ناصر الدين، ديوان الأخطل، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان،1986م، ص107
2-محمد إسماعيل عبد الله الصاوي، شرح ديوان جرير، بيروت لبنان، 1987م،ص198
3-أبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري،نقائض جرير والفرزدق،وضع حواشيه،خليل عمران المنصور،ص207-208.

ولقد نظرت، وما تمتع نظرة ** في اللحد حيث تمكن المحفار

فجزاك ربك في عشيرك نظرة ** ونقى ضداك مجلجل مدرار

ولهت قلبي، إذ علتني كبرة، ** وذووا التمائم من نبيك صغار[1]

فأجابه (الفرزدق) قائلا:

أعرفت بين رويتين وحنبل ** دمنا تلوح كأنها الأسطار

لعب العجاج بكل معرفة لها ** وملتة غبياتها مذرار

فعفت معالمها، وغير رسمها ** ريح تروح بالحصى مبكار[2]

ازدهر شعر النقائض، نتيجة للظروف السياسية والاجتماعية السائدة خاصة في العصر الأموي، وهي معركة شعرية اشتبك فيها شاعران (الفرزدق وجرير)، حيث كان كل منهما يمدح في نفسه ويذم الآخر بقصائده، مع التقيد بوزن وقافية القصيدة المذمومة.

1- أبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري، نقائض جرير والفرزدق،وضع حواشيه،خليل عمران المنصور ص214.

2- المرجع السابق،ص226.

قائمة المصادر والمراجع:

1-ا بن منظور، محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، مادة (نقض)، دار صادر، بيروت، لبنان، ج 7، (د.ت).

2- أحمد الشايب، تاريخ النقائض في الشعر العربي، ط 2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1954م.

3- احمد محمد الخوف، أدب السياسة في العصر الأموي، ط 1، دار مكتبة نهضة مصر بالفجالة، القاهرة، 1960م.

4- أبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري، نقائض جرير والفرزدق، وضع حواشيه، خليل عمران المنصور، ط 1، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، لبنان، 1998م.

5-أبو تمام، نقائض جرير والأخطل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1922م.

6- العمري، محمد، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2005م.

7- الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ط 3،الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، القاهرة، ج 2، 1301هـ.

8- حسين عطوان، نصوص من الأدب الأموي، ط 1، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، 2005م.

9- ضيف شوقي، التطور والتجديد في الشعر الأموي، ط 8، دار المعارف، القاهرة، 1987م.

10- عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي القديم، ط 1، دار صادر، بيروت، لبنان، ج 1، 1965م.

11- محمد إسماعيل عبد الله الصاوي، شرح ديوان جرير، بيروت، لبنان، 1987م.

12- محمود مصطفى، الأدب العربي وتاريخه في عصري صدر الإسلام والدولة الأموية، ط 2، مطبعة مصطفي البابي الحلبي وأولاده مصر، القاهرة، ج 1، 1937م.

13- هدي محمد ناصر الدين، ديوان الأخطل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1986م.

المحاضرة الحادية عشر

(شعر الاستغاثة والاستصراخ في الأندلس)

عناصر المحاضرة:

1) مقدمة.
2) في مفهوم الاستغاثة.
3) بداية شعر الاستغاثة.
4) الخصائص الفنية لشعر الاستغاثة والاستصراخ.
5) بعض النماذج الشعرية التي قيلت في الاستصراخ والاستعطاف.
6) قائمة المصادر و المراجع.

مقدمة:

نظرا للاعتداءات التي عرفتها المدن الأندلسية لم يجد الشعراء إلا الشعر قصد الاستنجاد والدعوة إلى الجهاد، من أجل استرجعا تاريخ الأمة وأمجادها العريقة.

1-في مفهوم الاستغاثة:

"الاستغاثة هي طلب العون والنجدة ممن يملك القوة والقدرة، وبدأ هذا الشعر مبكّراً، ويرجع في نشأته إلى فترة الإمارة التي تأسست عام (138هـ) وحافظ الأندلسيون على كيانهم حتى سقوط الخلافة في دمشق, ولم يدر بخلدهم أن يستحثوا إخوانهم في شمالي أفريقيا لنجدتهم إلا بعدَ أن أدركوا أن قوتهم لم تعد تجدي أمام قوة أعدائهم من النصارى. وبالتالي أصبَح الشاعر الأندلسي لسان حال مجتمعه في طلب النجدة من إخوانه في المغرب ضارباً بذلك على وتر الأخوة الإسلامية ووحدة العقيدة، وأصبح فن الاستصراخ والاستغاثة غرضاً رئيسياً في شعر الحروب والفتن"[1]

2-بداية شعر الاستغاثة:

بدأ شعر الاستصراخ والاستغاثة بعد سقوط العديد من المدن الأندلسية، عقب المعارك الطاحنة التي دارت بين المسلمين وعدوهم اللدود النصارى.

بعد انتهاء الخلافة الأموية بالأندلس في أواخر القرن الرابع هجري، تربع على العرش دول (ملوك الطوائف) وكانت البداية الأولى لسقوط المدن الأندلسية بيد النصارى سنة 478هـ،هذا ما جعل ملوك الطوائف يطلبون المساندة من جيرانهم المرابطين وإخوانهم في العقيدة، وهكذا وقعت معركة (الزلاقة) سنة 479هـ بقيادة (يوسف بن تاشفين) وبعد موته خلفه ابنه (علي) الذي ساهم في انتشار الفرقة والفتن هذا ما أدى إلى سقوط دولة المرابطين وآل الأمر إلى سلطة الموحدين، بعد أن أحرزت الجيوش الإسلامية انتصارا عظيما على النصارى في معركة (الأرك) عام 593هـ إلا أن الفرحة لم تتم،إذ سرعان ما

1-أبو الخشب، إبراهيم: تاريخ الأدب العربي في الأندلس، ط 1، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، 1966م، ص 215 – 216.

تم هزيمتهم بوقت قصير في معركة (العقاب)، وكانت بمثابة ضربة في صميم القلب لسلطان الموحدين (محمد الناصر ابن يعقوب الناصر).

وبدأت حالة الفوضى والاضطرابات تتجلى في المدن الأندلسية،ومن أولى المدن التي سقطت مدينة (لك) ثم تلتها العديد من الدول الأخرى (سمورة، شلمنة، استرقة...) وهكذا تمكن العرب النصارى من تحقيق أطماعهم في توسيع ممتلكتهم على حساب المملكة العربية الإسلامية في الأندلس،ولكن سرعان ما برز الزعيم (محمد بن يوسف بن هود الجذامي) الذي دعا إلى تحرير الأندلس من الموحدين والنصارى معا،وتمكن من السيطرة على معظم المدن الأندلسية بعد أن خاض مع النصارى في العديد من المعارك مثل معركة (شريش) إلا أن النصارى استغلوا فرصة سيطرتهم على مدينة (قرطبة) بعد انشغال (بن هود) في قتال خصمه ومنافسه الجديد (محمد بن الأحمر) الذي سيطر على العديد من القلاع والقواعد الأندلسية، وانتهت المعركة بانتصار (ابن الأحمر).

وبعد دخول النصارى إلى مدينة (قرطبة) عام 633هـ احتلوا الكثير من المدن الأندلسية (بلنسية) إذ بدأ شبح الفناء والسقوط يخيم على الجزيرة الخضراء والوجود العربي الإسلامي في الأندلس.

وهكذا تكون الأندلس قد فقدت الكثير من مدنها في العديد من المحن والحروب التي كانت دافعا حاسما للشعراء لاستنهاض عزيمتهم واستحضار قريحتهم الشعرية لوصف ما حل بالأندلس من ضياع وتدمير وتخريب، باستنجادهم بالأمم والشعوب المجاورة من بطش النصارى.

3- الخصائص الفنية لشعر الاستغاثة والاستصراخ:

يمكن تلخيص خصائص شعر الاستغاثة والاستصراخ في النقاط التالية:

-كثر استخدام أسلوب النداء عند شعراء الاستصراخ والاستغاثة الذي يدل على إلحاح الشعراء لطلب العون.

-صدق العاطفة، وحرارة التجربة.

-التعبير عن حالة اليأس التي وصلوا إليها بعدما فقدوا القدرة على مواجهة الصعاب.

-استخدام أسلوب الوصف والفخر.

-بروز عاطفة السخط والغضب نتيجة تقاعس فرسان العرب عن نصرة اخوانهم الأندلسيين.

-استخدام "كم" التكثيرية للتعبير عن الاستمرارية في طلب النجدة والمساندة.

-الدعوة للجهاد وأخذ الثأر واستنهاض الهمم، لاسترداد ما نهب.

-بروز النزعة الدينية.

-الحماسة العالية.

-المقارنة بين الماضي والحاضر.

-وصف المعاناة بالتركيز على الجانب المأسوي الذي حل بالأندلسيين.

-وصف المكان الذي تحول إلى خراب ودمار.

-الوعظ والإرشاد والتضرع إلى الله.

-توظيف أسلوب السرد والحكي، أي وصف الأحداث المأساوية في قالب قصصي.

4-بعض النماذج الشعرية التي قيلت في الاستصراخ والاستعطاف:

بعد تدهورت دولة الموّحدين، بدأت المدن الأندلسية تتساقط في أيدي النّصارى أحسّ الأندلسيون أن هذه الدولة لا تستطيع نجدتهم, لذا اتجهت أنظارهم للحفصيين بتونس ,نخاطبهم ابن الآبار عندما حوصرت بلنسية (635هـ) يدعوهم للعبور والجهاد لإنقاذ المدينة المحاصرة فيقول:

أَدْرِك بخَيْلكَ خيلَ االلهِ أندلسا ** إنَّ السبيلَ إلى مناجاتها دَرَسا

وهب لها من عزيز النَّصْرِ ما التمَست ** فلَم يَزَل مِنْكَ عزُّ النَّصْرِ ملتمسا[1]

يقول إبراهيم بن سهل الاشبيلي قصيدته لاستنهاض همم المسلمين واستصراخهم فيها :

نادى الجهادُ بكم بنَصْرٍ مضمَر ** يبدو لكم بين القنا والضُّمرِ

1- أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب،شرحه وضبطه وعلق عليه وقدم له،مريم قاسم طويل وآخرون،ط1،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ج6، 1995م،ص215.

يا مَعشَرَ العُرْبِ الذين توارثوا ** شيمَ الحميَّةِ كابراً عن أكبَرِ

إن الإله قد اشترى أرواحكم ** بيعوا ويُهْنِئْكُمْ وفاءُ المشتري[1]

يقول (أبو البقاء الرندي) مناشدا العرب والمسلمين لنجدة إخوانهم المسلمين في الأندلس بعد سقوط مدن الأندلس الكبرى (قرطبة، واشبيلية، وبلنسية وجيان و مرسية) وما حولها من معاقل وحصون:

وحاملين سيوفَ الهند مرهفةً ** كأنها في ظلام النَّقع نيرانُ

أعندكم نبأٌ من أهل أندلسٍ ** فقد سرى بحديث القوم ركبان[2]

ونجد(ابن المرابط)يطرق أبواب المرينين مادحاً مستنجداً بهم،ومشيراً إلى أن تحرير الأندلس واجب من واجباتهم كونهم جيران الأندلسيين بالدين والعقيدة مستغلاً في سبيل ذلك كل أدوات فنه وأساليب تأثيره ويقول:

أبني مرين أنتم جيراننا ** وأحقُّ مَن في صرخة بهم أبتدي

فالجارُ كان به يوصِّي المصطفى ** جبريلُ حقاً في الصحيحِ المسندِ

أبني مرين والقبائلُ كُلُها ** في المغربِ الأدنى لنا والأبْعَد[3]

هكذا يبدو أن ثقة أهل الأندلس بحكام(تونس والمغرب) كبيرة, فهؤلاء بنظرهم أملهم الوحيد في الحفاظ على الوطن أو في استرداد ما فُقِدَ من العدو،نسمعه يقول:

هبوا لها يا مَعْشَرَ التَّوحيدِ ** قَدْ آنَ الهبوبُ وأحرِزُوا علياءها

هي دارك القصوى أَوْت لإيالة ** ضمنتَ لها مع نصرها إيواءها

بها عبيدك لا بقاءَ لهم سوى ** سُبُل الضَّراعة يسلكون سواءها

1-البستاني بطرس، ديوان ابن سهل الإشبيلي،مكتبة صادر، بيروت،لبنان، 1953م،ص38.

3-أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب، شرحه وضبطه وعلق عليه وقدم له: مريم قاسم طويل وآخرون، ج 6، ص 244

1-عبد الرحمان بن خلدون، تاريخ ابن خلدون، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مج07، 1972م، ص 412.

حاشاكَ أن تفنى حُشاشَتها ** وقَدْ قَصَرَتْ عليكَ نداءها ورجاءها[1]

2- أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب،شرحه وضبطه وعلق عليه وقدم له،مريم قاسم طويل وآخرون، ص 235 -236.

قائمة المصادر والمراجع:

1-عبد الرحمان بن خلدون، تاريخ ابن خلدون، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مج 7، 1972م.

2- أبو الخشب إبراهيم، تاريخ الأدب العربي في الأندلس، ط 1، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، 1966م.

3- البستاني بطرس، ديوان ابن سهل الإشبيلي، مكتبة صادر، بيروت، لبنان، 1953م.

4- أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب، شرحه وضبطه وعلق عليه وقدم له، مريم قاسم طويل وآخرون، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج 6، 1995م.

المحاضرة الثّانية عشر

(التّشكيل في النّصّ الشّعريّ في العصريْن المملوكيّ والعثمانيّ)

عناصر المحاضرة:

1) في مفهوم التشكيل.

2) الأوضاع السائدة في العصرين المملوكي والعثماني:

أ-الحياة السياسية.

ب-الحياة الاقتصادية.

ج-الحياة الاجتماعية.

د-الحياة الثقافية.

3) أنواع التشكيل.

4) مظاهر التشكيل في النص الشعري المملوكي والعثماني.

5) خاتمة.

6) قائمة المصادر والمراجع.

1-في مفهوم التشكيل:

جاء في لسان العرب: "الشكل بالفتح: الشبه والمثل...يقال هذا شكل هذا، أي من ضربه ونحوه، وهذا شكل ذلك أي مثله في حالاته، وشكل الشيء صورته المحسوسة والمتوهمة، وتشكل الشيء تصوره وشكله: صوره"[1]

2-الأوضاع السائدة في العصرين المملوكي والعثماني:

أ-الحياة السياسية:

"يعود وجود المماليك في العالم الإسلامي إلى عصر الخليفة العباسي (المأمون)، حينما أهدى إليه أسيره "نوح بن أسد الساماني" المملوك التركي "طولون" مجموعة من الرقيق سنة 200 هجرية حيث اتضح تأثيرهم في الحياة السياسية حينما تمكن (أحمد بن طولون) من الوصول إلى الحكم، وتأسيس الدولة الطولونية في مصر سنة 254 هجرية، وقد اعتمد (ابن طولون) على المماليك في تدعيم أركان دولته، إذ بلغ عددهم أربعا وعشرين ألف غلام تركي، وأربعين ألفا من السود، وسبعة آلاف من الأحرار المرتزقة"[2]

وازداد الاتكاء على المماليك في أواخر العصر الفاطيمي، إذ أصبحت كلماتهم مسموعة عند الخلفاء الفاطميين، وقد برز دورهم بشكل ملحوظ بعد وفاة (صلاح الدين الأيوبي) خاصة بعد النزاع الذي حدث بين ورثته على السلطة، وهذا ما أدى إلى انقسام البلاد بين الورثة، وحاول كل منهم تدعيم سلطانه بشراء المماليك، وتدريبهم على القتال ثم الاعتداء عليهم في الجيش، الأمر الذي ساعد المماليك على السيطرة عليهم كقوة حربية.

وبعد وفاة الملك (الصالح نجم الدين أيوب) تم قتل ابنه الملك (تورانشاه) وهكذا تحول نظام الحكم من الحكم الأيوبي إلى الحكم المملوكي في مصر، وقد تولت (شجرة الدر) زوجة السلطان الأيوبي الملك (الصالح نجم الدين أيوب) نظام الحكم، لأنها أخفت خبر

1- ابن منظور، لسان العرب، مادة (شكل)، ط 1، دار صادر، بيروت، لبنان، مج 3 ، 1997م، ص 463.

2- حسن علي إبراهيم، دراسات في تاريخ المماليك البحرية، طبعة مكتبة النهضة المصرية، مصر، القاهرة، 1967م، ص 21

موت زوجها عام 647 هـ، لكي لا يفترق شمل الجنود، وبقيت في حكم البلاد (ثمانين يوما) إلا أن الخليفة العباسي اعترض حكمها لأنها امرأة.

ولكن (شجرة الذر) تزوجت بأحد أمراء المماليك (عز الدين بيك) ليستمر حكمها، إذ حكم زوجها في البداية باسم الأيوبيين بالاشتراك مع طفل من بني أيوب.ولكن بعد هزيمة الأمراء الأيوبيين استقل من الحكم.

"وفي سنة 656 هجرية حاصر (هولاكو خان) بغداد بجيش جرار يبلغ حوالي مائتي ألف مقاتل، وكانت جيوش بغداد في غاية الضعف والقلة، وذلك بتدبير الوزير (ابن العلقمي الرافضي)"[1]، وهو من دبر مكيدة للقضاء على الإسلام وأهله، وكان أول من برز (للمغول) وأعان (التتر) في إذلال الخليفة، إذ قتلوا الخليفة وقتلوا العلماء و القضاة، ولم ينج من أهل (بغداد) سوى اليهود والنصارى.

ولما بلغ الملك المظفر (سيف الدين قطز) بما فعله (التتار) في (بغداد)، أعد العدة مع الجيش المصري للتصدي لزحف (التتار)، وحدثت المواجهة بين الطرفين، وكانت الهزيمة من نصيب (التتار) الذين فروا بعد مقتل معظم أعيانهم وقادتهم.

"قال أحد الشعراء في هذا الصدد:

هبوا لها يا مَعْشَرَ التَّوحيدِ ** قَدْ آنَ الهبوبُ وأحرِزُوا علياءها

بالمليك المظفر الأر وع الإسلام عند نهوضه

هبوا لها يا مَعْشَرَ التَّوحيدِ ** قَدْ آنَ الهبوبُ وأحرِزُوا علياءها

ملك جاءنا بعزم وحزم فاعتززنا بسمره وبيضه [2]

وقد حرص الملك الظاهر (ركن الدين بيبرس البندقداري) بعد اعتلائه عرش الحكم على اجتثاث الإمارات الصليبية في المشرق الإسلامي، إذ قام بعقد تحالفات مع الإمبراطورية البيزنطينية، وعلاقات ودية مع ملك (قشتالة الاسباني) بهدف عدم تقديم

1-جمال الدين بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1992م، ص22.

2-المرجع السابق،ص201.

دعم أو مساندة للصليبيين، وتكفل سلاطين المماليك بالقضاء على الإمارات الصليبية واحدة تلو الأخرى.

وإذا رجعنا إلى الدولة العثمانية التي يرجع نسبها إلى الأمير التركي (عثمان بن أرطغرل) زعيم الترك في بلاد الأناضول، وهم جيل من الأجيال التركية الذين تمكنوا من تحويل إمارتهم الصغيرة، إلى دولة عظيمة تتربع على عرش القسطنطينية، كما بسطوا نفوذ الإسلام في العديد من دول آسيا وأوروبا.

إن أردنا التعرف عن أسباب توغل العثمانيون في الوطن العربي، فيمكن القول أنها تعود إلى:

"عام 907هجري عندما أعلن (إسماعيل الصفوي) نفسه ملكا على إيران، وألغى المذهب السني، وجعل المذهب الشيعي المذهب الرسمي لإيران، ثم استولى على العراق وألحقها بالمذهب الشيعي، وأرسل الدعاة إلى الأناضول لنشر مذهبه، الأمر الذي أثار حفيظة الدولة العثمانية السنية، وبدأت الصدامات العسكرية بين الجيش الصفوي والجيش العثماني.

وفي عام 918 للهجرة تنازل السلطان العثماني (بايزيد الثاني) لابنه (سليم الأول)، وكان على السلطان الجديد أن يستعد لمواجهة الزحف الصفوي الشيعي، وفي عام 920هـ التقى الجيشان في وادي (جالديران) وانهزم الجيش الصفوي (...) ثم استغل السلطان العثماني (سليم الأول) حالة الوهن التي انتشرت في جسم دولة المماليك في (مصر والشام)، وزحف بجيشه الجرار إلى الشام.

والتقى عام 922هـ في (مرج دابق) قرب حلب بالجيش المملوكي، وانهزم الجيش المملوكي بعد أن انظم قائد الجيش (خير بك) وبعض فرق الجيش للعثمانيين، وسقط السلطان المملوكي قنصوة الغوري،عن فرسه ميتا من هول الخيانة والهزيمة"[1]

1-نجم الدين الغزي، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، تح، جبرائيل جبور، ط 1، بيروت، لبنان، 1945م، ص 295.

وواصل الجيش العثماني تقدمه في حلب ودمشق (...) وبعد أن بسط نفوذه على الشام، توجه السلطان (سليم الأول) على رأس جيشه إلى مصر، وفي القاهرة التقى بجيش المماليك بقيادة السلطان (طومان باي)، وبعد معركة طاحنة انهزم الجيش المملوكي، وفر سلطان القاهرة، وهكذا تمكن السلطان العثماني من دخول القاهرة واحتلالها سنة 923 هجرية، وبعدها بسط نفوذه على باقي الدول العربية (الجزائر، ليبيا، تونس..) باستثناء (المدينة المنورة، مكة المكرمة، الإمارات...) التي حافظت على استقلالها.

وظلت الدولة العثمانية رمزا من رموز وحدة الأمة الإسلامية وقوتها، إلا أنها أصابها الوهن، بسبب إغارة أعدائها الصليبيين على أطراف الدولة، وتم الإعلان رسميا على نهاية دولة الرجل المريض (العصر العثماني) عام 1923ميلادي.

ب-الحياة الاقتصادية:

منذ اللحظة الأولى التي وصل إليها المماليك لنظام الحكم، تصدوا للأخطار الخارجية التي تهدد دولتهم، إذ بذلوا جهدهم لتوفر الأمن والسلم وإرساء معالم الاستقرار في أرجاء دولتهم (مصر،الشام) بهدف تصديهم للعدو والدفاع عن الدين الإسلامي في وجه الصليبيين والتتار، إذ اهتموا ببناء دور العبادة والاحتفاء بالعلماء، بالإضافة لقوة جيشهم وحسن تنظيمه، كما ازدهرت الصناعة والتجارة والزراعة، كما فرضت الضرائب والمكوس على عائدات التجارة والصناعة (القطن، الفواكه والحبوب، الكروم، النخيل، السفن...)،كما لعب الموقع الجغرافي (لمصر والشام) دورا بارزا في التجارة العالمية، وقد شكل رواج الحركة التجارية رافدا من روافد خزينة الدولة، وانعكست مظاهر الانتعاش الاقتصادي على حياة الوزراء والأمراء والسلاطين، فشيدوا القصور الفخمة، وتجلت مظاهر الثراء أيضا في حياة بعض شرائح المجتمع من علماء وفقهاء، وكان الحاكم (بيبرس) يتصدق بعشرة آلاف إردب، في كل سنة على الفقراء و المساكين، وكذا الوزراء والأمراء والتجار حذو سلطانهم في أوقات القحط.

والعصر المملوكي لم يكن كله رخاء وازدهار، بل مر بأوقات عصيبة ساد فيها القحط، بسبب قلة هطول الأمطار، فقلت المحاصيل الزراعية وارتفعت الأسعار، وانتشر الفقر.

أما الحياة الاقتصادية في العصر العثماني يمتاز بإطلالة الدولة العثمانية على أهم المنافذ المائية في العالم كالمحيطين (الهندي والأطلسي)، والبحرين (المتوسط والأحمر) ساهم في تنوع المحاصيل الزراعية والمنتوجات الصناعية (النسيج، الجلود، السيوف، السفن، الزجاج، الأسلحة...).

ج-الحياة الاجتماعية:

انقسم المجتمع في العصر المملوكي إلى طبقتين:

الطبقة الحاكمة وتظم (السلطان، الأمراء، الوزراء، قادة الجند وكبار موظفي الدولة، وتتمتع هذه الطبقة بحياة الترف والبذخ (عائدات الخراج والضرائب، قصور فخمة...) وكان السلطان يقيم الحفلات في كل مناسبة كالاحتفاء بالصيف أو السفير (....)، كما اهتم السلاطين بإنشاء المساجد والمدارس، وحرص معظم السلاطين على إرضاء القضاة والفقهاء وتقريبهم منهم، وقد حقق التجار ثراء جعلهم في أعلى درجات السلم الاجتماعي.

والطبقة الثانية وهي طبقة الرعية التي تشمل فئات الشعب وشرائحه، أما الفلاحون يعيشون في آخر درجات السلم الاجتماعي، بالإضافة إلى انتشار ظاهرة الخمر، وكثرة المشعوذين وكثرة قطاع الطرق.

د-الحياة الثقافية:

اهتم السلاطين والأمراء في العصر المملوكي، بإنشاء المدارس والمساجد والزوايا، وإتاحة فرصة التعليم المجاني، وانتهجوا نهجا صارما لتنشئتهم على اللغة العربية وعلومها، وعلوم القرآن والسنة، ليباهي العصر المملوكي جميع عصور العربية بثرائه الموسوعي في جميع فروع المعرفة.

ولما جاء الحكم العثماني، تركوا الحكام المماليك على حالهم في حكم مدن (الشام ومصر)، كما تعلم الكثير من الأتراك والفرس اللغة العربية، باعتبارها لغة الدين والثقافة

الإسلامية، كذلك أطل العديد من العلماء والأدباء على الثقافتين الفارسية والتركية، للوصول إلى المناصب الرفيعة في الدولة، واستمر تدفق حركة التأليف والإبداع، التي عجت المكتبة العربية الإسلامية بالكتب والموسوعات.

وفي هذا الصدد يقول الشاعر:

سر حيث شئت لك المهيمن جار ** وأحكم فطوع مرادك الأقدار

لم يبق للدين الذي أظهرته ** يا ركنه عند الأعادي ثار

لما تراقصت الرؤوس وحركت ** يا ركنه عند الأعادي ثار

ويقول (البوصيري):

ومهده للسالكين من الأذى ** فليس به الأعمى إذا سار يتعثر

فشرق وغرب في البلاد فكم له ** بها عابر يثني عليه ويعبر

وما كل وال مثله فيه يقظة ** ولا قبله بالله قلب منور

حملتك أمواج الفرات ومن رأى ** بحرا سواك تقله الأنهار[1]

3-أنواع التشكيل:

-التشكيل بالمفارقة التصويرية.

-التشكيل بتراسل الحواس.

-التشكيل بمزج المتناقضات.

-التشكيل بالزمان والمكان.

-التشكيل بالتناص.

-التشكيل بالإيقاع: كحسن التقسيم، رد العجز على الصدر...

4-مظاهر التشكيل في النص الشعري المملوكي والعثماني:

-التلاعب بأوزان الشعر.

-برعوا في التعزية والألغاز والحنين والشوق والشكوى والعتاب والزهد (...).

---

[1]- ديوان البوصيري، تح، محمد سيد كيلاني،ط2،مطبعة مصطفى البابي الجلبي،مصر،القاهرة،1973م،ص160

-أصبحت الألوان البديعية من أهم دعائمها استجابة لروح العصر (التورية، طباق، مقابلة...).

-براعة الاستهلال.

-الميل إلى النكتة والفكاهة (الشكوى، النقد الاجتماعي، الألغاز...).

-استعمال الكلمات العامية والدخيلة.

-استخدام العبارات والأمثال السوقية.

-ظهور فن البديعيات والمسمطات والرباعيات.

خاتمة:

لا يمكن اعتبار العصر المملوكي، عصر الضعف والجمود، بل كان عصر تطور وازدهار في مختلف المجلات، إذ اتسع الشعر اتساعا واسعا، وتناول الشعراء مختلف الأغراض الشعرية (المدح، الغزل، الفخر...).

قائمة المصادر والمراجع:

1-ابن منظور، لسان العرب، مادة (شكل)، ط 1، دار صادر، بيروت، لبنان، مج 3، 1997م.

2- جمال الدين بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1992م.

3-حسن علي إبراهيم، دراسات في تاريخ المماليك البحرية، طبعة مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1967م.

4- ديوان البوصيري، تح، محمد سيد كيلاني، ط 2، مطبعة مصطفى البابي الجلبي، مصر، القاهرة، 1973م.

5- نجم الدين الغزي، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، تح، جبرائيل جبور، ط 1، بيروت، لبنان، 1945م.

المحاضرة الثّالثة عشر

(السّجينيّات في النّصّ الشّعريّ القديم)

عناصر المحاضرة:

1) تمهيد.
2) في مفهوم أدب السجون.
3) السجن عبر العصور:
   أ-السجن في العصر الجاهلي.
   ب- السجن في صدر الإسلام.
   ج- السجن في العصر الأموي.
   د-السجن في العصر العباسي.
4) خصائص شعر السجون.
5) خاتمة.
6) قائمة المصادر والمراجع.

تمهيد:

السجن عقوبة معروفة منذ أن استوطن الإنسان الأرض، وقد عرفت تطورا واتساعا مع اتساع الحضارة، تبعا لتغيير الظروف، اتخذت السجون لتهذيب من شذ عن قوانين المجتمع المرسومة، أو من يحاول المساس بأمنها، ولكل أمة نظامها في معاقبة المسجون، من أجل بناء الفرد وإصلاحه وتربيته، وهي وسيلة عقابية ردعية، لاعتراف المجرم بجرمه.

وقد اختلفت وسائل التعذيب من مجتمع لآخر، ففي السجون المصرية يلجؤون إلى ضرب المجرم بالعصا للاعتراف، أو قطع يده أو لسانه، وأحيانا ينفونه أو يعدمونه أو إحراقه مصلوبا، أو تحنيط المذنب حيا.

أما عند (اليونان والرومان)، فكانوا يعاقبون المجرمين بالنفي والقتل والسجن، واستصفاء الأموال واتخذوا من مقالع الرخام والحجارة سجونا.

1-في مفهوم أدب السجون:

"هو الحبس، وهو الإمساك، من ذلك الأسير، وكانوا ينشدونه بالقد وهو الإسار"[1]

السجن: هو المنع والشدة والصلابة، العزلة والشدة، وحساب عسير، وضرب وتنكيل ومنع وتقييد، وهو الموضع الضيق المظلم. وللسجن مرادفات كثيرة: (الحبس، الاعتقال، الإصفاق، الديماس، المخيس، الجعجاع، العناء، الأسير...).

2-السجن عبر العصور:

أ-السجن في العصر الجاهلي:

لم تكن السجون موجودة في تلك الحقبة الزمنية، نظرا لظروف الحياة الاجتماعية السائدة في القبائل العربية، في ظل الحل و الترحال، و لكن كان المجرمون يحبسون في

1-أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، ج 1، 1979م، ص 107.

خيمة أو عند في منزل شخص معروف بالأمانة والإخلاص، أو تتبرأ منه القبيلة، أو يدفع من المال والإبل والأنعام، أو يبتعد عن أفراد القبيلة فترة زمنية محددة.

أما الحواضر فقد كانت سجونا هيئت خصيصا لعقاب المجرمين، كما هي الحال عند (الغساسنة والمناذرة) وسجون (اليمن ومكة).

بعض المعارضين للحكام والثوار والمشاغبين على السلطة القائمة، مادام الحكام غير راضيين عنهم وقد يموت بعض منهم وهم في سجونهم.

قال (عنترة بن شداد) عندما كان نزيلا بأحد سجون (النعمان بن المنذر)، ونجا منها بأعجوبة خلدها في شعره:

ترى علمت عبلة ما ألاقي ** من الأهوال في أرض العراق

طغاني بالريا والمكر عمي ** وجار علي في طلب الصداق

قطعت وريده بالسيف حزرا ** وعدت إليه أجعل في وثاقي[1]

ب-السجن في صدر الإسلام:

كانت العقوبات تستند إلى القرآن الكريم والسنة النبوية واجتهاد الفقهاء، وهي تقوم على مبدأ القصاص تبعا لنوع الجرم، وتنفذ السلطة القصاص، ويكون بأمر منها عند ثبوت الإدانة وغالبا ما يكون فوريا.

ولم يكن للرسول صلى الله عليه وسلم حبس، بل كان على أيامه عقوبة تعويق المذنب، وربما يحبس في البيت أو في سارية المسجد.

وبعد اتساع الدولة الإسلامية في عهد (عمر بن الخطاب) رضي الله عنه، ومصرت الأمصار وكثر الناس ازدادت الحاجة إلى مكان الحبس لبعض المجرمين، وكان (عمر بن الخطاب) رضي الله عنه يستعين بالآبار المهجورة المظلمة لحبس الأشخاص.

كما كان لـ(عثمان بن عفان) سجون في الأمصار، وفي عهده تعرض المساجين إلى أنواع مختلفة من ضرب وتعذيب بالحديد والأغلال.

1-عنترة بن شداد، ديوان عنترة و معلقته، تح وشرح: خليل شرف الدين، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، 1989م، ص 116.

وفي عهد (علي بن أبي طالب) الذي تولى الخلافة في جو مكهرب بالاضطرابات والفوضى، بعد مقتل (عثمان بن عفان) إذ كان يقول في السارق تقطع يده، فإن عاد قطعت رجله، فإن عاد استودع في السجن.

ومن أشهر السجون (نافع) و(المخيس)، وكان (علي بن أبي طالب) أشد العناية بالمسجونين فمن كان له مال أنفقه عليه، ومن لم يكن له مال، أنفق عليه من بيت مال المسلمين.

يقول (أبو العتاهية) في تصوير محبسه زمن الرشيد:

أما والله إن الظلم لوم ** ولكن المسيء هو المظلوم

إلى ديان يوم الدين نمضي ** وعند الله تجتمع الخصوم

ستعلم في الحساب إذا التقينا ** غدا عند الإله من الملوم

سينقطع التروخ عن أناس ** من الدنيا، وتنقطع الغموم[1]

يقول (أبو إسحاق الموصلي) في أسره أيام (هارون الرشيد):

ألا طال ليلي أراعي النجوم ** أعالج في الساق كبلا ثقيلا

بدار الهوان وشر الديار ** أسام بها الخسف صبرا جميلا

كثير الإخلاء عند الرخاء ** فلما حبست أراهم قليلا

لا طول بلاني مل الصديق ** فلا يأمن خليل خليلا[2]

يقول (المعتمد بن عباد):

فيما مضى كنت بالأعياد مسرورا ** فجاءك العيد في أغمات مأسورا

ترى بناتك في الأطمار جائعة ** يغزلن للناس ما يملكن قطميرا

1-أبو العتاهية، ديوان أبو العتاهية،ط1،دار بيروت للطباعة والنشر،بيروت،لبنان،1986م،ص398-399.

1-شهاب الدين النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ط1، دار الكتب والوثائق العلمية، القاهرة، ج 4، 1423ه، ص331

برزن نحوك للتسليم خاشعة أبصارهن حسيرات مكاسيرا[1]

**

ج- السجن في العصر الأموي:

ازدادت الخصومة السياسية بسبب ظهور ملامح الحكم الوراثي، هذا ما أثر غضب بني أمية، ونكلوا بالهاشميين والعلويين، وأصبح السجن والقتل أمرا عاديا، لذا أطلقوا عليه الدارسون (العصر الذهبي للسجون) إذ كانت النزاعات المذهبية والقبلية والصراعات السياسية نتيجة حتمية لكثرة نزلاء سجون الخلفاء.

بينما في عهد الخليفة (هشام بن عبد الملك) فكانت السجون تخص بالنزلاء منهم من دخلوه بسبب الضرائب التي كانوا يعجزون عن أدائها.

وفي عهد (الوليد بن عبد الملك) فقد كان يبيع المسجون بثمن باهظ بسبب من تخلف عن الدفع لألد أعدائه.

ويعتبر (الحجاج بن يوسف الثقفي) سفاكا سفاحا، إذ كان يسجن الرجال والنساء في مكان واحد، ولم يكن للحبس ستر يستر الناس من البرد والحر، وكان الحرس يرمونهم بالحجارة، وكان المسجونون يقرنون بالسلاسل يطعمون الشعير المخلوط بالرماد.

كما اتخذ الأمويون إلى جانب السجن وسيلة عقابية أخرى، هي النفي في الجزر (دهلك) و(بيش) و(خرسان) و(السند).

يقول الحطيئة لما سجنه (عمر بن الخطاب) رضي الله عنه بعد هجائه لـ(الزبرقان بن بدر) مستعطفا الخليفة:

فيما مضى كنت بالأعياد مسرورا فجاءك العيد في أغمات مأسورا

**

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ زغب الحواصل لا ماء ولا شجر

فيما مضى كنت بالأعياد مسرورا فجاءك العيد في أغمات مأسورا

**

1-المعتمد بن عباد، ديوان المعتمد بن عباد، تح، حامد عبد المجيد، أحمد بدوي، ط3، دار الكتب المصرية، مصر،القاهرة،2000م،ص35.

ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمر[1]

فعفا عنه (عمر بن الخطاب) وأشترى منه أعراض المسلمين بثلاثة ألاف درهم.

وقال (المعتمد بن عباد) في سجنه بالمغرب، عندما أسره (يوسف بن تاشفين) زعيم المرابطين، معبرا عن يأسه وتأسفه عن حال أبنائه:

دعا لي بالبقاء، وكيف يهوى أسير أن يطول به البقاء

**

أليس الموت أروح من حياة يطول على الشقي بها الشقاء

**

فمن يك من هواه لقاء حب فإن هواي من حتفي اللقاء

**

أأرغب أن أعيش أرى بناتي عواري، قد أضر بها الحفاء[2]

**

ج-السجن في العصر العباسي:

لم يعد العرب يدخلون على الخليفة،إذا أرادوا كما كانوا يفعلون أيام (بني أمية) و قبلها، إذ لابد من المرور على الحجاب واستئذانهم، فإذا دخل أحدهم على الخليفة لم ينفرد به، وإنما يدخل ومعه كبير حجابه في جانب، وكبير حرسه المعروف بالجلاد في الجانب الآخر، والسيف دائما أمامه، فمن غضب عليه أطاح برأسه.

إنه حكم استبدادي، حكم لا حساب فيه للرعية، فهم مجرد أدوات مسخرة للحاكم صاحب كل أمر وسلطان يولي الولاة والقضاء وأصحاب الشرطة،ويعز لهم حسب مشيئته وهواه، أسماها بعض الدارسين (القوة المركزية).

إذ أقامت سجون جديدة بهندسة عمرانية، لا تختلف عن سجون الفرس والروم، وما فيها من خبايا وأبواب سرية وحرس، ونتيجة مظاهر الانحلال الخلقي وكثرة الجرائم، وكان للذين جاهروا بالمعاصي والمحرمات سجن خاص في مدينة المنصور عرف بسجن (الزنادقة).

1-ديوان الخطيئة، شرح ابن السكيت، دراسة مفيد قميحة، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1993م، ص 107 - 108.

2-ديوان المعتمد بن عباد ملك اشبيلية، تح، حامد عبد المجيد وأحمد بدوي، راجعه طه حسين، ط 2، مطبعة دار الكتب المصرية، مصر، القاهرة، 2000م، ص 90.

وغالى العباسيون في التنكيل بكل من تسول له نفسه السير في ركاب العلويين، ولو كان في أعلى مناصب الدولة.

ومن أشهر السجون: (سجن خراسان، سجن بغداد، دبر القائم، الهاشمية، مكة، دار الخلافة، واسط، مراكش، أغمات، وسجن المطبق...).

يقول (أبو فراس الحمداني):

فـ"الجوسق" "الميمون"، فـ"الـ ** قيا" بها، فالنهر أعلى

تلك المنازل، والملا ** عب، لا أراها الله محلا

أو طلتها زمن الصبا ** وجعلت منبج لي محلا[1]

ويقول (ابن المعتز):

يا نفس صبرا لعل الخير عقباك ** خانتك من بعد طول الأمن دنياك

مرت بنا سحرا طير فقلت لها ** طوباك يا ليتني إياك طوباك

لكن هو الدهر فالقيه على حذر ** فرب مثلك ينزو تحت إشراك[2]

3-خصائص شعر السجون:

-تصوير تجربة الحبس بكل ما تحمله من دلالات القمع والحصار والتقييد والتعذيب.

-مشاركة الأديب في صنع الأحداث.

-شيوع ظاهرة التكرار.

-الحوار الداخلي.

-فخامة اللفظ وسلاسته وعذوبته.

-شيوع المقطوعات في شعر السجون.

1-ديوان أبي فراس الحمداني،شرح خليل الدويهي،ط2،دار الكتاب العربي،بيروت،لبنان،1994م،ص240-241.

2-أبو الفتح صفي الدين عيسى بن البحتري،أنس المسجون وراحة المحزون،تح،محمد أديب الجادر،ط1،دار صادر،بيروت،لبنان،1997م،ص141.

-طغيان الأساليب الإنشائية على الخبرية.
-التفكر والتأمل في الحياة.
-صقل ملكة العقل واستدعاء الحكمة.
-التفصيل بين التلميح والتصريح.
-الإغراق في عوالم الرفض والثورة.
-التمرد بصناعة عالمه الخاص.
-الركوب في سبيل الوصول إلى المخاطر.
-الإنصات إلى صدى الخطوات الآتية من بعيد.
-البحث عن أجواء السعادة والفرح في ربوع الماضي.
-الشوق والحنين للأهل.
-تطهير النفس ومكابدة الصبر.
تصوير نفسية الأسير الحزينة المكسورة.

خاتمة:

السجن مؤسسة عقابية عرفها الإنسان منذ القدم، عبر من خلاله الشعراء عن تجاربهم، وتحدثوا عن مراراتها وأهوائها، وفيه تمكن الشعراء من الكشف عن الصلة العميقة، بين تجربة الحبس والعملية الإبداعية.

قائمة المصادر والمراجع:

1- أبو العتاهية، ديوان أبو العتاهية، ط1، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1986م.

2-أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح، عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، ج 1، 1979م.

3- أبو الفتح صفي الدين عيسى بن البحتري، أنس المسجون وراحة المحزون، تح، محمد أديب الجادر، ط 1، دار صادر، بيروت، لبنان، 1997م.

4- المعتمد بن عباد، ديوان المعتمد بن عباد، تح، حامد عبد المجيد، أحمد بدوي، ط 3، دار الكتب المصرية، مصر، القاهرة، 2000م.

5- شهاب الدين النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب،ط1،دار الكتب والوثائق العلمية، القاهرة، ج 4، 1423هـ.

6- ديوان أبي فراس الحمداني، شرح خليل الدويهي، ط 2، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1994م.

7- ديوان الخطيئة، شرح ابن السكيت، دراسة مفيد قميحة، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1993م.

8- ديوان المعتمد بن عباد ملك اشبيلية، تح، حامد عبد المجيد وأحمد بدوي، راجعه طه حسين، ط 2، مطبعة دار الكتب المصرية، مصر، القاهرة، 2000م.

9- عنترة بن شداد، ديوان عنترة ومعلقته، تح وشرح، خليل شرف الدين، دار مكتبة الهلال بيروت، لبنان، 1989م.

المحاضرة الرّابعة عشر

(الشّعر النّسائـيّ القديم)

عناصر المحاضرة:

1) مقدمة.
2) في مفهوم الأدب النسوي.
3) تطور الشعر النسوي:

أ-الشعر النسوي في العصر الجاهلي.

ب-الشعر النسوي في العصر الإسلامي والأموي

ج-الشعر النسوي في العصر العباسي.

4) خصائص الشعر النسوي.
5) خاتمة.
6) قائمة المصادر والمراجع.

مقدمة:

تمكنت المرأة العربية أن تفرض هيمنتها في زحام الحركة الأدبية على مدار العصور المختلفة.

1-في مفهوم الأدب النسوي:

تقول (يمنى العيد):"الأدب النسائي يفيد معنى ثنائي أنثوي ذكوري، يضع هذا النتاج في علاقة اختلاف ضدي تناقضي مع نتاج الرجل الأدبي"[1]

أشار (بشير يموت) إلى أن: "الشعر العربي النِّسائي مهضوم الحقِّ و مهيض الجناح قديما وحديثا، فما تكاد ترى ديوانا لشاعرة، أو مجموعة لنابغة أهمل ذلك الأولون ومضى على آثارهم المتأخرون، فأنت إذا تصفحت مختارات الشعراء كحماسة أبي تمام والبحتري وغيرهما من الأقدمين،أو مختارات البارودي وأمثاله من المتأخرين،لا تجد فيها شعرا نسائيا، إلا ما ندر كأن الدهر قد حكم على المرأة بالظلم في كل شيء حتى في الأدب والشعر"[2]

2-تطور الشعر النسوي:

أ-الشعر النسوي في العصر الجاهلي:

تبوأت المرأة العربية في العصر الجاهلي، مكانة تتراوح بين المد والجزر، ففي بعض القبائل كانت لها منزلة مهينة، تلفها نظرة الاحتقار والذل ومصدر العار، وهي ضعيفة لا تستطيع الدفاع عن نفسها أو محاربة الأعداء، وكانوا يتشاءمون بولادة البنات، وأقسى عقوبة تتعرض لها المرأة هي وأدهن وهن أحياء مخافة الفقر، كما سلبت منها جميع الحقوق، وجردت من كرامتها، وكان ينظر إليها على أنها مجرد متاع يمتلك مثلها مثل الحيوانات، فالمرأة عندهم خلقت للمتعة والإنجاب والخدمة، لا يعتد برأيها خاصة في مسألة الزواج.

1-يمنى العيد، الرواية العربية المتخيل وبنيته الفنية، ط 1، دار الفرابي، بيروت، لبنان، 2011م، ص 137.

2- بشير يموت، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ط 1، المكتبة الأهلية، بيروت، لبنان، 1934م، ص 33.

ورغم هذه النظرة الدونية، إلا أن هناك بعض القبائل ينظرون إلى المرأة نظرة تفاؤلية،إذ حظيت المرأة بالرفعة واحتلت مكانة متميزة وسط القبيلة، وكان لها قسط وفير من الحرية، والافتخار بالنسب وكانت سيدة قبيلتها ومفخرتها، وكان العرب يدافعون عنها ويحترمونها، باعتبارها جزءا لا يتجزأ من عرضهم؛ إذ اندلعت حرب طاحنة (البسوس) بين قبيلتي (بكر) و(تغلب) بسبب قتل ناقة امرأة.

وشاركت المرأة العربية إلى جانب الرجل في الكثير من الحروب والغزوات بجرأة وبسالة وأصدق مثال قصة ملكة اليمن القديمة (بلقيس)، وقصة ملكة تدمر الملكة (زنوبيا)، وقصة (فاطمة بنت الخرشب الأنمارية) التي رمت بنفسها من هودجها بعدما وقعت أسيرة في يد (حمل بن بدر) معبرة عن رفض المرأة العربية حياة العبودية والهوان.

كما لا ننسى مكانة المرأة المرموقة في حركة الشعر (الرثاء، الغزل، المدح...) الذي يبرز جليا في مختلف المصادر والمراجع القديمة، التي تبين حضورها المتميز في المجالس الأدبية، واجتماعها بالشعراء والخلفاء والأمراء، والحوار الذي يدور بينها وبين الشعراء، وإلى شهادة الشعراء للشاعرة وتفوقها على الشاعر.

وكان الشعراء يستلهمون شعرهم من شجاعة وجمال ولطف، وتشجيع المرأة الأزواج على الثبات في ساحة المعركة.

بالإضافة لكون المرأة ناقدة للشعر،والدليل على ذلك،احتكام (أم جندب) بالنزاع الذي دار بين زوجها (امرؤ القيس) والشاعر (علقة بن عبدة) في أيهما أشعر من الآخر، فقالت:"قولا شعرا تصفان فيه فرسكما على قافية وروي واحد".

فقال امرؤ القيس:

خليلي مرا بي على أم جندب ** لنقضي لبانات الفؤاد المعذب

وقال علقمة:

ذهبت من الهجران في كل مذهب ** ولم يك حقا طول هذا التجنب

ولما أنشداها جميعا، قالت لزوجها (امرؤ القيس) :"علقمة أشعر منك".

قال: وكيف؟ قالت: لأنك قلت:

فللسوط ألهوب وللساق درة ** وللزجر منه وقع أخرج منعب

فجهدت فرسك بسوطك، ومريته بساقك وزجرك،وأتعبته بجهدك، وعلقة قال:

فأدركهن ثانيا من عنانه ** يمر كمر الرائح المتحلب

فلم يضرب فرسه بسوطه، ولم يمره بساق، ولم يتعبه بزجر[1]

ومن أشهر شاعرات الرثاء في العصر الجاهلي (الخنساء)،إذ نسمعها تقول في رثاء أخيها (صخر):

يذكرني طلوع الشمس صخرا ** وأذكره لكل غروب شمس

فلولا كثرة الباكين حولي ** على إخوانهم لقتلت نفسي

وما يبكون مثل أخي ولكن ** أعزي النفس عنه بالتأسي

فلا والله لا أنساك حتى ** أفارق مهجتي ويشق رمسي[2]

رغم الدور الكبير الذي لعبته المرأة في المجتمع الجاهلي، إلا أن هناك الكثير من الأسماء لم يذكر من شهرهن إلا القليل، وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر الشاعرة (زرقاء اليمامة) التي نسمعها تقول محذرة قومها من الأعداء:

خذوا حذركم يا قوم ينفعكم ** فليس ما أرى بالأمر يحتقر

إني أرى شجرا من خلفها بشر ** وكيف تجتمع الأشجار والبشر[3]

1-أبي الفرج الأصفهاني، الأغاني، شرحه وكتب حواشيه، سمير جابر، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج 4، 1992م، ص121

2- الخنساء، *ديوان* الخنساء، دار التراث، بيروت، لبنان، 1968م، ص 50.

1- حمد بن زاوي، النقد العربي المعاصر، المرجع والتلقي، كتاب ملتقى الخطاب النقدي العربي المعاصر قضاياه واتجاهاته، المنعقد بالمركز الجامعي خنشلة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2004م، ص 175.

ب-الشعر النسوي في العصر الإسلامي والأموي:

بجل الإسلام المرأة، وأولى لها اهتماما بالغا ومنحها رعاية كبيرة، ورد كرامتها، كما منحها حقوقها كاملة، ورفعها من مكانتها الوضيعة وأوصلها إلى ذروة المثالية، ومحا عنها وصمة العار والنجاسة، وسواها بين الرجل في الواجبات والحقوق والعقاب والجزاء، وأوصى الإسلام وحرص على ضرورة الرأفة بها، وسقط عنها أداء بعض العبادات مثل: الصوم والصلاة في حال الحيض والرضاعة.

ورد حقها المسلوب في الميراث، والتمتع بالعيش والتعلم والعمل، بالإضافة للمكانة المرموقة التي حظيت بها الأم، إذ جعلها بابا من أبواب الجنة، كما أوصى بالزوجة خيرا، دون تقييد حريتها أو إلغاء كينونتها.

وفي صدر الإسلام والعصر الأموي" فقد حفظت لنا الكتب شاعرات من قريش وبيت النبوة منهن لعائشة بنت أبي بكر الصديق، عقلية بنت عقيل بن أبي طالب، سكينة بنت الحسن ورباب بنت الحسين، كما اشتهرت في هذا العصر "ليلى الاخيلية"و"ميسون بنت بحدل" و"رابعة العدوية" و"عليلة بنت المهدي "وهناك شاعرات أخريات اشتهرت في العصور العباسية منهن: محبوبة ولبان وفضل جواري المتوكل.

ومن أشهر شاعرات هذين العصرين: (ليلى العامرية، إمرأة يزيد بن سنان، عقيلة بنت الضحاك، أم كلثوم بنت عبدود...).

قالت (رباب) زوجة (الحسين بن علي بن أبي طالب) ترثيه حين قتل:

إن الذي كان نورا يستضاء به بكربلا قتيل غير مدفون

سبط النبي حراك الله صالحه عنا وجنبت خسران الموازين **

قد كنت لي جبلا صعبا ألوذ به وكنت تصحبنا بالرحم والدين **

من لليتامى ومن للسائلين ومن يعفى ويأوي إليه كل مسكين[1] **

وقالت (حفصة بنت الحاج الركونية):

1-ابن القيم الجوزية، أخبار النساء، تح،ن زار رضا، مكتبة الحياة،بيروت،لبنان،1979م،ص44.

يا سيد النـاس يا من ** يؤمل الناس رفده

أمنن علي بصك ** يكون للدهر عده

خطت يمينك فيه ** والحمد لله وحده[1]

وقالت (صفية بنت عبد المطلب) عمة الرسول صلى الله عليه وسلم في رثاء أخيها (حمزة):

أسائلة أصحاب أحد مخافة ** بنات أبي من أعجم وخبير

فقال الخبير أن حمزة قد ثوى ** وزير رسول الله خير وزير

دعاه إله الحق ذو العرش دعوة ** إلى الجنة يحيا بها وسرور[2]

أما الشاعرة (قتيلة بنت النضر بن الحارث)، فقد بكت أباها الذي قتل يوم بدر مع الذين قتلوا من طرف المشركين، بقصيدة مؤثرة وحزينة، فقالت:

يا راكبا إن الأثيل مطنة ** من صبح خامسة وأنت موفق

أبلغ بها ميتا، فإن تحية ** ما إن تزال بها الركائب تخفق

مني إليك، غير مسفوحة ** جاءت بوابلها، وأخرى تخفق[3]

ج-الشعر النسوي في العصر العباسي:

لم يرد في العصر العباسي الكثير من شعر المرأة، لعدم اهتمام المؤرخين بأدب النساء، بالإضافة لعدم تدوينه وأغلبيته تعرض للتلف والضياع.

1- ابن الأبار، المقتضب من كتاب تحفة القادم،ط3، تح، إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة،1989م، ص 219.

2- سعد بوفلاقة،شعر النساء في صدر الإسلام والعصر الأموي، ط1، دار المناهل للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،2007م، ص122.

3- عبد مهنا، معجم النساء الشاعرات في الجاهلية والإسلام، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1995م، ص128.

تقول (رابعة العدوية) في الحب الإلهي:

حبيب ليس يعد له الحبيب ** وما لسواه في قلبي نصيب

حبيب غاب عن بصري وشخصي ** ولكن عن فؤادي ما يغيب[1]

وتقول الشاعرة (علية):

تفديك أختك قد حبوت بنعمة ** لسنا نعد لها الزمان عديلا

إلا الخدود وذال قربك سيدي ** لا زال قربك والبقاء طويلا

يا راكبا إن الأثيل مطنة ** فرأيت حمدي عند ذلك قليلا[2]

3-خصائص الشعر النسوي:

-تعدد الأغراض الشعرية وتنوعها (الغزل، الرثاء...).

-استخدام التكرار من أجل التوكيد والتوضيح.

-توظيف المحسنات البديعية.

-قوة وصدق العاطفة.

-قوة الألفاظ وجزالتها.

-عدم تكسب المرأة بالشعر، كما يفعل الرجل.

-الوقار والحكمة والفطنة.

خاتمة:

رغم الإهمال الذي عانت منه الشاعرة العربية في بيئتها التي هيمن في وسطها الرجل بامتياز، ورغم سلطة الإقصاء التي مارسوها في حقها، ووضعها في الهامش الشعري أو الأدبي المنسي المقصود من قبل المؤرخين، إلا أنها استطاعت أن تثبت وجودها بجدارة في الساحة الأدبية إذ بزغت شمسهاوأصبحت تضاهي كبار الشعراء من الجنس الآخر.

1-عبد البديع صقر،شاعرات العرب، ط1،المكتب الإسلامي، قطر،1967م،ص125.

2- بشير يموت، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام ، ص233.

قائمة المصادر والمراجع:

1- ابن الأبار، المقتضب من كتاب تحفة القادم، ط3، تح، إبراهيم الأبيار ي، دار الكتاب المصري، مصر، القاهرة، 1989م.

2- ابن القيم الجوزية، أخبار النساء، تح، نزار رضا، مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1979م.

3- الخنساء، ديوان الخنساء، دارالتراث، بيروت، لبنان، 1968م.

4- أبي الفرج الأصفهاني، الأغاني، شرحه وكتب حواشيه، سمير جابر، ط 2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج 4، 1992م.

5- بشير يموت، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ط 1، المكتبة الأهلية، بيروت، لبنان، 1934م.

6- حمد بن زاوي، النقد العربي المعاصر، المرجع والتلقي، كتاب ملتقى الخطاب النقدي العربي المعاصر قضاياه واتجاهاته، المنعقد بالمركز الجامعي خنشلة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2004م.

7- سعد بوفلاقة، شعر النساء في صدر الإسلام والعصر الأموي، ط 1، دار المناهل للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2007م.

8- عبد البديع صفر، شاعرات العرب، ط 1، المكتب الإسلامي، قطر، 1967م.

9- عبد مهنا، معجم النساء الشاعرات في الجاهلية والإسلام،ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1995م.

10- يمنى العيد، الرواية العربية المتخيل وبنيته الفنية، ط 1، دار الفرابي، بيروت، لبنان، 2011م.

فهرس الموضوعات

	العنوان	الصّفحة
المحاضرة الأولى	النزعة القبلية في الشعر الجاهلي.	4-11
المحاضرة الثانية	نزعة التمرد في شعر الصعاليك.	12-26
المحاضرة الثالثة	أثر الإسلام في الشعر العربي القديم.	27-37
المحاضرة الرابعة	الشعر السياسي في العصر الأموي.	38-49
المحاضرة الخامسة	قضية التقليد والتجديد في الشعر العباسي.	50-71
المحاضرة السادسة	الزهد والتصوف في الشعر العباسي.	72-79
المحاضرة السابعة	قصيدة المديح في الشعر العربي القديم.	80-111
المحاضرة الثامنة	رثاء المدن والممالك في الشعر الأندلسي والمغربي	112-122
المحاضرة التاسعة	المدائح النبوية و المولديات في الشعر العربي	123-130
المحاضرة العاشرة	شعر المعارضات بين المشرق والمغرب	131-144
المحاضرة الحادية عشر	شعر الاستغاثة والاستصراخ في الأندلس	145-152
المحاضرة الثانية عشر	التشكيل في النص الشعري في العصرين المملوكي والعثماني	153-162
المحاضرة الثالثة عشر	السجنيات في النص الشعري القديم	163-172
المحاضرة الرابعة عشر	الشعر النسائي القديم	173-181
فهرس الموضوعات		182